دار الظاهرية

إزالة الإيهام
عما أشكل فهمه في
قصة يوسف عليه السلام

أ.د. عبد الله بن محمد العسكر
أستاذ التفسير بجامعة الأمير سطام
السعودية

إزالــة الإيهـام
عما أشكل فهمه في

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥ م

©جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية: 1369-2025

ردمك: 978-99966-88-11-9

الناشر

مركز تبيان للدراسات ٢٠٢٥م

TEL: + 965 55604218

البريدالإلكتروني

altebyan@outlook.com

الموزع

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة

كابيتول مول- السرداب محل ٢٤

الموقع الإلكتروني: www.daradahriah.com

البريدالإلكتروني: daradahriah@gmail.com

هاتف: 99627333 965+-51155398 965+

المزعون المعتمدون

دار أندلسية للنشر والتوزيع - الكويت	+ 965 94747176	-	darandalusia@hotmail.com
مكتبة الميمنة المدنية - المدينة المنورة	+ 966 558343947	-	daralmimna@gmail.com
مكتبة زاد الراوي - المدينة المنورة	+ 966 542658208	-	al.raawe.zd@gmail.com
المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع :مكة المكرمة	+ 966 125273037	-	hassan- hyge@hotmail.com
مكتبة بيت العلم - الدوحة	+ 974 30351996	-	info@baitalelm.com
دار الأصالة - اسطنبول (منطقة الفاتح)	+ 90 2125118547	-	asalet@asaletyayinlari.com.tr
دار الظاهرية للنشر والتوزيع - القاهرة	+ 20 1550530588	-	daraadahriah@hotmail.com
مكتبة بنيان - الجمهورية اليمنية	+ 967 777627633	-	bnyanmaktbt@gmail.com
وسم للمعرفة والثقافة - اسطنبول	+ 90 5511638225	-	wasmbookstore@gmail.com
جمعية المحافظة على القرآن الكريم - عمّان	+ 962 790150833	-	Moh.alaa@hoffaz.org

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو واسطة -أو أي جزء منه-، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي) أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

إزالــة الإيهــام
عما أشكل فهمه في
قصة يوسف عليه السلام

أ.د. عبدالله بن محمد العسكر
أستاذ التفسير بجامعة الأمير سطام
السعودية

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، وأشهد ان لا إله إلا الله وليُّ الصالحين، وأشهد أن محمداً عبدُ الله ورسولُه الأمين، صلى الله وبارك عليه وعلى آله السادة الغرِّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن كتاب الله هو النبعُ الذي لاينضَبُ معينُه، والبحرُ الزاخر الذي لا تنفدُ كنوزُه، لايملُّ قارئه، ولايسأم تاليه، هو النور والضياء، والأنس والهناء، من أخذ به نجا، ومن أعرض عنه فإن له معيشةً ضنكى.

ولقد حوى القرآنُ جملةً من قصص الأنبياء صلوات الله وسلامُه عليهم، فيها من العِبَر والعظات ما يدعو لمزيدٍ من التأمّل والاعتبار.

وقصةُ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أشهر قصص القرآن الكريم، ذكرها الله في سورة كاملة تحدثت من مبتداها إلى منتهاها عن قصة هذا النبي الكريم، سِوى آياتٍ قليلةٍ في آخرها.

احتوت هذه السورة على أخبارِ يوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منذ صباهُ ومنشئِه، مروراً بشبابه وكهولتِه، وانتهاءً بكِبَره وشيخوختِه.

وهي قصة ذاتُ أحداثٍ عجيبة، صِيغتْ بأسلوبٍ قصصي بديع، يأخذ بمجامع القلوب، ويستدرُّ من المحاجرِ الدموع، لايستطيع البشر - مهما أوتوا

مـن بيان – أن يجارُوه، فضلاً عن أن يأتوا بأحسـنَ منه، وأنّى لهم ذلك وهو كلام الذي لايشبهه شيء جلّ في علاه.

وفي طيّـات هذه القصة تبدو بعض المواقـف تحتاج لمزيدٍ من التأمل؛ حيث إن سرْد القصة جاء مختصرا، فكان ذلك مدعاةً لغياب بعض تفاصيل القصة التي لا يؤثـر غيابُهـا على جماليات السـرد؛ لكنَّ إيضاحَها يسـاعد على فهم تسلسـل الأحـداث بصورة أسـهل؛ ولذا جـاء هذا المؤلَّـف المقتَضب لإيضاح ما تعسّـر فهمُه، وصعُب إدراكُ معناه. وقد أسـميته: (**إزالة الإيهام عمّا أشكل فهمه في قصة يوسف** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)[1].

ومن أهم ما سـاعد على توضيح ما خفي من أحداث قصة يوسـف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ المرويـاتُ الإسرائيلية؛ فإن في كثيرٍ منها جوابـًا شافيـًا يساعد على فهم المراد.

والتحديث عن بني إسرائيل مما جاءت الرخصةُ به، مالم يكن فيه معارضةٌ لما جاءت به شريعة الإسلام. قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»[2].

وقد كان عددٌ من أصحاب رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعتمدون في تفسير بعض الآيـات علـى أخبار بني إسـرائيل، ومن أشـهرهم حـبرُ الأمة عبدُالله بـنُ عباس،

---

(١) تنبيه: المراد بـ(ما أشـكل فهمه) لا يعني مصطلح (المشـكِل) المعروف في علوم القرآن، والذي عرّفه السيوطي في الإتقان ٣/ ٧٥٣ بأنه: «ما يُوهِم التعارض بين الآيات». وإنما المقصود من هذا البحث توضيـح وتجليـة معاني بعض الآيـات، وربط أحداث قصة يوسـف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بذكـر بعض الأحداث والأخبار المروية في كتب التفسـير، والتي لم تُذكر في آيات السـورة الكريمة بما يزيل اللبس ويوضح المقصود.

(٢) أخرجـه البخـاري في صحيحـه كتاب الأنبياء، باب ما ذكـر عن بني إسـرائيل (٤/ ١٧٠) حديث رقم (٣٤٦١) عن عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وأبوهريرة، وعبدالله بن سلام، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين.

وكثير من المفسرين ينقلون هذه المرويات مابين مستقلٍّ منهم ومستكثر. والمنهج الحقُّ هو التفريق بين هذه المرويات، فما وافق شرعَنا فهو مقبول، وما خالفه فهو مردود، وما لم يوافق شرعنا ولم يخالفْه فلاحرج في روايته، على سبيل الاستشهاد لا الاعتقاد، ولا نصدّقهم فيه ولا نكذّبهم؛ كما أمر بذلك النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولاتكذِّبوهم، وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم»[(١)]، هذا هو المنهج الأصوب، والقولُ الأحكم في هذه المسألة، والله أعلم[(٢)].

والله المسؤول وحدَه أن يجعل هذا العمل من الباقيات الصالحات اللاتي هنّ خيرٌ ثواباً وخيرٌ مَرَدًّا. وأستغفر الله وأتوب إليه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

❋❋❋

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا) (٦/ ٢٠) حديث رقم (٤٤٨٥) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي (٤/ ١٤).

بين يدي السورة

التعريف بسورة يوسف، وبيان فضلها، وسبب نزولها

أولاً: التعريف بسورة يوسف

ويتضمّن ما يلي:

١. اسم السورة:

الاسم الوحيد لهذه السورة هو سورة يوسف، ولم ينقل تسميتُها بغير لك[(١)].

٢. موقعُها في القرآن الكريم:

تقع سورة يوسف في الجزء الثالث عشر، وهي السورة الثانية عشرة من بين سور القرآن.

٣. عددُ آياتها:

عددُ آياتِ سورةِ يوسفَ مائةٌ وإحدى عشرةَ آيةً.

٤. هل هي مكية أم مدنية؟

سورة يوسف مكّية بإجماع المفسرين[(٢)]، واختُلف في بعض آياتها[(٣)].

❊❊❊

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور (١٢/ ١٩٧).

(٢) حكى الإجماع ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ١٧٦)، وابن عاشور في التحرير والتنوير (١٢/ ١٩٧).

(٣) انظر: معاني القرآن، النحاس (٣/ ٣٩٣)، النكت والعيون، الماوردي (٣/ ٥)، مفاتيح الغيب، الرازي (١٨/ ٦٧)، الدر المنثور، السيوطي (٨/ ١٧٥).

ثانياً: فضل سورة يوسف وما ورد فيها

لم يصحّ عن النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حديث خاصٌّ في فضل سورة يوسف، وإنما روي في ذلك حديثٌ لايصحّ عن أُبيّ بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**علِّموا أرِقَّاءَكم سورةَ يوسُف؛ فإنَّه أيُّما مسلم تلاها مُعلِّمَها أهلَهُ وما ملكتْ يمينُه هوَّنَ اللهُ عليه سكرات الموتِ، وأعطاهُ القُوَّةَ ألَّا يَحسُدَ مسلمًا**»[(١)].

لكن جاء ذكرُ هذه السورة مُضمَّنًا في حديث واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُعطِيتُ مكان التَّوراة السَّبعَ الطِّوال، وأُعطيت مكان الزَّبورِ المئين، وأُعطِيتُ مكان الإنجيلِ المثانيَ، وفُضِّلتُ بالمُفصَّل**»[(٢)].

وتُعدّ سورة يوسف من سور المئين، لكون عدد آياتها تجاوز مائة آية كما سبق.

❋❋❋

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (٥/ ١٩٦)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٦٥). وقال: «وهو منكرٌ من سائر طرقه»، وضعفه الزيلعي في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري (٢/ ١٨٠)، وانظر: الفردوس بمأثور الخطاب، الديلمي (٣/ ١٠).

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده (٢/ ٣٥١) رقم (١١٠٥)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٤٠٩) رقم (١٣٩٧)، والطبراني في مسند الشاميين (٤/ ٦٣) رقم (٢٧٣٤)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤٦٩).

ثالثاً: سبب نزولِ سورة يوسف

ورد في سبب نزول هذه السورة عدةُ مرويات:

١. عن مصعب بن سعد عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: آية ٣]. قال: أنزل الله القرآن على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله! لو قصصتَ علينا، فأنزل الله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١﴾ [يوسف: آية ١] إلى قوله: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: آية ٣](١).

٢. عن عون بن عبد الله قال: ملَّ أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ملّةً، فقالوا: يارسول الله! حدِّثنا، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: آية ٢٣] ثم ملُّوا ملَّةً أخرى فقالوا: يا رسول الله! حدِّثنا فوق الحديث ودون القرآن، يعنون القصَص، فأنزل الله: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝١ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ۝٣﴾ [يوسف: الآيات ١-٣]، فأرادوا الحديث فدَّلهم على أحسن الحديث، وأرادوا القصصَ فدلهم على أحسن القصص(٢).

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٣)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٩٢) رقم (٦٢٠٩). قال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: «إسناده قوي»، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال: «صحيح الإسناد»، وأقرّه الذهبي (٢/ ٣٤٦) رقم (٣٣١٩). وقال الشيخ مقبل الوادعي: «الحديث رجالُه رجال الصحيح إلا خلاداً الصفار، وهو ثقة» انظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، الوادعي (ص ١٢٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٠٠)، وابن كثير في تفسيره=

٣. عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالوا يا رسول الله لو قصصت علينا. فنزل ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: آية ٣][(١)].

هذه المرويات هي أشهر ما جاء في كتب التفسير في سبب نزول هذه السورة من الآثار المسندة[(٢)].

❋❋❋

= (٤/ ٣٦٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٨/ ١٧٩). وقال الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري (١٥/ ٥٥٢): «عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود روى عن أبيه وعمه مرسلا».

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٥/ ٥٥٢)، وابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٦٦)، والسيوطي في لباب النقول (ص١٥٠)، وفي إسناده أيوب بن سيار، قال عنه البخاري في التاريخ الكبير (١/ ٤١٧): «منكر الحديث، وقال ابن معين: ليس بشيء». وقال الدارقطني في الضعفاء والمتروكون (ص١٦٠): «منكر الحديث».

(٢) رويت بعض الأسباب غيرَ مسندةٍ فلم أحفل بها، منها: أن اليهود سألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قصة يوسف فنزلت هذه السورة، وقيل: إن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن السبب الذي أحلَّ بني إسرائيل بمصر فنزلت. انظر: المحرر الوجيز لابن عطية (٣/ ٢٣٠)، تفسير الثعالبي (٣/ ٣١٠).

الإشكالات في سورة يوسف

الإشكال الأول: هل كان إخوة يوسف أنبياء؟

هذه المسألة جرى فيها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من قال بنبوءتهم، ومنهم من قال بأنهم لم يكونوا أنبياء، وهذا هو القول الصحيح الذي عليه جمهور السلف وعامة العلماء، نصَّ على ذلك السيوطي[(١)]، واختاره القاضي عياض[(٢)] وابن عطية[(٣)] وابن تيمية[(٤)] وابن كثير[(٥)]، ومن المعاصرين محمد رشيد رضا[(٦)].

وأقوى ما استدل به القائلون بأنهم أنبياء هو قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: آية ١٣٦]، وقوله تعالى ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ [النساء: آية ١٦٣] وغيرها من الآيات التي ذكرت (الأسباط)، حيث فسر هؤلاء معنى (الأسباط) بأنهم أولاد يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ من صلبه.

والصواب هو ما تقدم ذكره من أنهم ليسوا بأنبياء، وذلك لوجوه متعددة منها:

---

(١) انظر: الحاوي للفتاوي، السيوطي (١/ ٢٩٨).

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى،القاضي عياض (٢/ ١٦٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية (٣/ ٢٣٢).

(٤) جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٩٧).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢).

(٦) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (١/ ٣٩٧).

١ - أن السِّبط - وهو مفرد الأسباط - معناه عنده عامة أهل اللغة: وَلَدُ الولدِ، وقيل للحسن والحسين: سبطا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)]، وذلك لكونهما ولدَيْ بنته فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وأما أولاد يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ فقد كانوا أولادَه من صُلبه، فلا يقال لهم (أسباط)[(٢)].

٢ - من معاني (السِّبط): القبيلة من اليهود، وهم الذين يرجعون إلى أصل واحد[(٣)].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: آية ١٣٦]: «بطونُ بني إسرائيل يقال لهم: الأسباط، كما يقال للعرب: قبائل، وللعجم: شعوب؛ يذكر تعالى أنه أوحى إلى الأنبياء من أسباط بني إسرائيل، فذكرهم إجمالا لأنهم كثيرون، ولكنْ كلُّ سبطٍ من نسل رجل من إخوة يوسف، ولم يقم دليل على أعيان هؤلاء أنهم أوحي إليهم، والله أعلم»[(٤)].

وبذلك يكون معنى وحي الله للأسباط أي: الأنبياء الذين كانوا من أولئك الأسباط وهم قبائل بني إسرائيل.

---

(١) انظر: فتح الباري،ابن حجر العسقلاني (٨/ ٣٠٠)، عمدة القاري، العيني (١٨/ ٢٣٠).

(٢) انظر في تعريف (السبط) إلى: المحكم والمحيط الأعظم،ابن سيده (٨/ ٤٣٩)، لسان العرب، ابن منظور (٢٢/ ١٩٢٢)، تاج العروس،الزبيدي (١٩/ ٣٢٩).

(٣) انظر المصادر السابقة.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٢).

٣ - إن ما صدر من إخوان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من فِعالٍ قبيحة أمرٌ يتنافى مع مقام النبوة الشريف، حتى ولو كان ذلك قبل أن يوحى إليهم؛ فإن الأنبياء قبل الوحي كانوا على أخلاق ومثُلٍ عالية، شهد لهم بذلك أقوامُهم وكلُّ من عرفهم، وهم معصومون من الكبائر على الصحيح من أقوال العلماء قبل النبوة وبعدها[(١)]؛ بل حتى ما دُون ذلك مما لايليق بأفاضل الرجال ناهيك عن سادة الرجال وهم أنبياء الله صلوات الله عليهم أجمعين.

يدل على ذلك ما رواه جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: لما بُنيتِ الكعبة ذهب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعباسٌ ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اجعل إزارك على رقبتك، فخرّ إلى الأرض وطمحت عيناه إلى السماء فقال: «**أرني إزاري فشدَّه عليه**»[(٢)]. وفي رواية: «فحلّه فجعله على منكبيه فسقط مغشيا عليه، فما رئي بعد ذلك عريانا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٣)].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلْدَح[(٤)] قبل أن ينزل على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوحي فقُدِّمت إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سفرةٌ فأبى أن يأكل منها، ثم قال زيدٌ: إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذُكِر اسمُ الله عليه. وأن زيد بن عمروٍ كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (٤/ ٣١٩)، تفسير القرطبي (٩/ ١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل مكة وبنيانها (٢/ ١٤٦) رقم (١٥٨٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها (١/ ٨٢) رقم (٣٦٤).

(٤) بَلْدَح: وادٍ قبل مكة من جهة المغرب. انظر: معجم البلدان لياقوت الحموي (١/ ٤٨٠).

لها من الأرض ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكاراً لذلك وإعظاما له»[(١)].

إذا عُلم ذلك فهل يليق بمن اصطفاه الله بالنبوّة أن يصنع هذا الذي صنعه إخوة يوسف بأبيهم وأَخوَيهم؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا ذَكَر - سبحانه - عن أحد من الأنبياء لا قبل النبوة ولا بعدها أنه فعل مثل هذه الأمور العظيمة، من عقوق الوالد، وقطيعة الرحم، وإرقاق المسلم، وبيعه إلى بلاد الكفر، والكذب البيِّن، وغير ذلك مما حكاه عنهم، ولم يَحكِ شيئًا يناسب الاصطفاء والاختصاص الموجب لنبوتهم، بل الذي حكاه يخالف ذلك، بخلاف ما حكاه عن يوسف»[(٢)].

٤ - ومما يدل أيضا على أنهم ليسوا بأنبياء أن الله تعالى لما ذكر الأنبياء من ذرية إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ...﴾[الأنعام: آية ٨٤] فذكر يوسف ومن معه، ولم يذكر الأسباط، فلو أن إخوة يوسف نُبئوا كما نبِّئ يوسف لذُكروا معه. أشار لذلك ابنُ تيمية[(٣)].

❋❋❋

(١) أخرجه البخاري كتاب مناقب الأنصار، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل (٥/ ٤٠) رقم (٣٨٢٦).

(٢) جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ٢٩٨ -٢٩٩).

(٣) المصدر السابق.

الإشكال الثاني

لماذا لم تُذكَر أمُّ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في القصة؟

مما قد يرِد السؤال عنه حينما تُقرأ سورةُ يوسف: لِمَ لم يَعرِض ذِكر أمِّ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أثناء قصته؟ واقتُصِرَ في أحداث القصة على ذكر أبيه يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وما لقيه من عناءٍ ووَجْدٍ عليه حين فقَدَه، وأما الأمُّ فلم يرد لها ذكر ألبتة، وهذا خلاف ما جرت به العادة من غلبة العاطفة على الأمّ أكثر من الأب.

والذي عليه أكثر المفسرين في بيان سبب ذلك هو أن أمَّ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (راحيل) قد ماتت وهو صغير، فتولّت تربيتَه خالتُه (ليئة)[(١)].

وأما قوله تعالى ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: آية ٩٩] وفي قوله: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يوسف: آية ١٠٠] فأجابوا عنه بأن المقصود بالأبوين أبوه وخالته، والخالة تسمى أمّاً، أو أنّ إطلاق لفظ (الأبوين) وقعَ من بابِ التغليب كقولهم: العُمَرين، والقَمرين.

ومن العلماء من قال بأن أمَّه لم تمت، إذْ لا يوجد رواية تثبت أنها ماتت. وهذا هو قول قتادة والحسن البصري وابن إسحاق[(٢)]، واختاره من المفسرين الطبري[(٣)] وابن عطية[(٤)] والثعالبي[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٢٠١)، الدر المنثور (٨/ ٣٣٨)، التحرير والتنوير (١٣/ ٥٥).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٧)، تفسير البغوي (٤/ ٢٧٨)، زاد المسير (٤/ ٢٨٨).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٧).

(٤) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٨١).

(٥) انظر: تفسير الثعالبي (٢/ ٢٥٨).

وهـذا – والله أعلـم – هو الأقرب للصواب؛ حيث لـم يثبت خبرٌ يفيد بأن أم يوسف قد ماتت وإلا لكان ذلك فاصلا للنزاع في هذه المسألة.

والأصل في كلام العرب أن لفظ (الأبوين) إذا أطلق يراد به الأب والأم، ولا يصار إلى غير ذلك إلا بقرينه تدل عليه، ولا قرينة هنا.

وعـدم ذكر أم يوسـف في القصة ليس بلازم، فالقصة قد تمـت أحداثُها على نسقٍ لاخلل فيه، ولعلَّه اكتُفي بذكر أبيه لكونه نبيّـًا من الأنبياء ممن أُمرنا بالاقتداء بهم، وقد جرى له من الابتلاءات العظيمة والمحن الجسـيمة التي ظهر معها صبرُ هذا النبي وتجلُّدُه واستسلامُه لأمر الله مما يدعو إلى الاعتبار والاقتداء به عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في الرضا بأقدار الله المؤلمة.

الإشكال الثالث

في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦﴾ [يوسف: آية ٦].

ظاهر الآية أن يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ كان يعلم بإعلام الله له أن يوسف سيجتبيه ربُّه، وسيتمُّ نعمتَه عليه بالنبوّة والعلوِّ في الأرض كما أتمها على أبويه إبراهيمَ وإسحاق عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، فإذا كان ذلك كذلك فكيف يحزن على يوسف كلَّ هذا الحزن العظيم؟! وكيف يخاف عليه أن يأكله الذئب وهو يعلم أن الله سيظهر شأنَه ويتمُّ نعمتَه عليه؟!

وجواب ذلك أشار إليه الفخر الرازي بأن خوفَ يعقوب على يوسف وحزنَه عليه إنما كان رحمةً به من الشدائد التي ستواجهه، والمحنِ التي سيتعرّض لها. وكان قوله لهم: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ [يوسف: آية ١٣] المقصود منه زجرهم عن التهاون في حفظه وإن كان يعلم أن الذئب لا يصل إليه[1].

❋❋❋

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٧٣).

الإشكال الرابع

في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف: آية ٨]

كيف يفضّل يعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يوسفَ وأخاه على بقية أبنائه؟ أليس ذلك ينافي العدلَ بين الأبناء المأمورَ به شرعًا؟

أحسن ما قيل في جواب ذلك: أن تفضيل يعقوبَ ليوسفَ وأخيه هو تفضيل محبةٍ، وليس تفضيلاً في القسمة والبرِّ والعطية. وهذا أمرٌ لايلام الإنسان عليه، فالمحبة القلبية أمرٌ خارجٌ عن مقدور الإنسان، وإنما المأمور به هو العدل في الأمور المحسوسة مما يستطيعه الإنسان ويملكُه كالنفقةِ والهبةِ ونحوهما.

وإنما يقع اللوم حينما تكون هذه المحبةُ مُفضِيةً إلى ظلم الآخرين ونقصِهم حقوقَهم، وما كان لنبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يحيف في عطاياه ومعاملتِه مع أولاده(١).

وقد كان حُبُّ نبينا محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشةَ وتفضيلُه إياها بالحب على سائر نسائه مما هو شائعٌ ذائعٌ عند المسلمين. وحاشا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يحيف في قسمته وعطيته لنسائه الأخريات وهو أعدل الخلق وأتقاهم لله ربِّ العالمين.

وقد روي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بإسنادٍ فيه مَغمز أنها قالت: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقسم فيَعدل ويقول: «**اللهمَّ هذا فعلي فيما أملك، فلا تلمني**

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٧٥)، تفسير المنار (١٢/ ٢١٦)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٢١).

فيما تَملك ولا أملك!»[(١)].

ثم إن ميلَ يعقوبَ ليوسف وأخيه وزيادةَ محبتِه لهما راجعٌ لعدّة أمور:

* إمّا لما كان يراه من نجابة يوسف وآثار الرشد والصلاح فيه، أو لما كان من برٍّ ولطف يوسف مع أبيه بأمورٍ فاقَ بها إخوانه، والنفس مجبولة على حبِّ من أحسن إليها، وإما رأفةً به وبأخيه ورحمةً لهما لكونهما عاشا يتيمين بعد فقد أمّهما، وهذا على قول من قال إن أمهما ماتت وهما صغيران. ذكر هذه الأسباب الفخرُ الرازي[(٢)].
* وقد يكون زعمُ إخوة يوسف أن أباهم يُفضِّلُ يوسفَ وأخاه عليهم زعما باطلا دفعهم للقول به الغيرةُ والحسدُ من يوسف وأخيه؛ لِما رأوا من كمالات يوسف وأخيه وثناءِ أبيهما عليهما[(٣)].

❋❋❋

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب القسمة بين النساء (١/ ٦٣٤) حديث رقم (١٩٧١)، وأبو داود في سننه، كتاب النكاح، بابٌ في القسم بين النساء (ص٣٠٨) حديث رقم (٢١٣٤)، والنسائي في الكبرى، كتاب عشرة النساء، حب الرجل بعض نسائه أكثر من بعض (٨/ ١٥٠) حديث رقم (٨٨٤٠)، وأعلّه النسائي والترمذي والدارقطني بالإرسال. انظر: التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني (٣/ ٢٩٥)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٨١).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٧٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٢١).

الإشكال الخامس

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف: آية ١٥].

وفي هذه الآية إشكالان:

الإشكال الأول: ظاهر الآية أنه أوحي إلى يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعدما ألقي في الجب، وكان وقتها صغيرا، فكيف يُوحى إليه وهو صغير؟

والإجابة عن هذا الإشكال من وجوه:

الأول: انه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن صغيرا؛ بل كان بالغا، وكان عمره حين ألقوه في الجب سبع عشرة سنةً[(١)].

وقد حكى ابن الجوزي اختلاف أقوال المفسرين في تحديد عمره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وقت إلقائه في الجب[(٢)].

الثاني: أن المراد بالوحي هنا هو الإلهام[(٣)]، كما في إيحائه تعالى لأم موسى في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: آية ٧].

---

(١) انظر: الكشاف(٢/ ٤٢٤)،مفاتيح الغيب(١٨/ ٨٠)، تفسير الخازن (٣/ ٢٦٨)،التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣٤).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ١٩١).

(٣) انظر: درج الدرر في تفسير الآي والسور،الجرجاني ص٩٩٤، مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٠)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣٤).

وإذا كان ذلك كذلك فلا لإشكال في أن يوحى إلى الصغير، لأن الوحي بهذا المعنى يمكن أن يكون للصغير والكبير والذكر والأنثى، بل ولغير الإنسان أيضا كما في وحي الله للنحل في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [النحل: آية ٦٨].

الثالث: الوحي هنا على الأصل وهو وحي جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأنبياء الله، وإنما كان الوحي ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع كونه صغيرا لإزالة وحشة بقائه في الجب، وتخفيفا من غُلَواء الحزن الجاثم على صدره، وطرداً للخوف المحيط به، وذلك حين لقيه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فأنبأه بأن الله سيُظهره عليهم، وسوف ينبّئهم بفعلهم هذا، وعند ذلك اطمأنت نفسه وذهبت وحشتُه. وهذا القول هو قول أكثر أهل العلم(١).

الإشكال الثاني: أين جواب (لـمّا) في قوله: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَـٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَـٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾؟ [يوسف: آية ١٥]

قيل في جواب ذلك قولان:

الأول: أن جواب (لـمَّا) محذوف يدلُّ عليه سياق الكلام، وهو قول البصريين، واختلف في تقديره؛ فقيل: تقديره (فعلوا به ما فعلوا من الأذى)، وقيل: (عظمت فتنتُهم)، وقيل: (جعلوه فيها).

الثاني: أن جواب (لـمَّا) مثبت، واختلف في تحديده؛ فقيل هو قوله: ﴿قَالُوا۟

(١) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ١٤)، الكشاف (٢/ ٤٢٤)، مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٠)، تفسير الخازن (٣/ ٢٦٨).

﴿يَٰٓأَبَانَآ﴾، وقيل قوله: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ﴾ والواو هنا صلة، وهذا هو مذهب الكوفيين، فالواو تزاد عندهم في جواب (لما) و(حتى) و(إذا)، وعلى ذلك خرّجوا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصافات: آية ١٠٣]، وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: آية ٧٣][1].

❊❊❊

(١) انظر: إعراب لقرآن،الزجاج (١/ ٢٨)، الكشاف (٢/ ٤٢٤)، تفسير البحر المحيط (٥/ ٢٨٧)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٣٣)، أضواء البيان،الشنقيطي (١٣/ ٨).

الإشكال السادس

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف: آية ١٧]

في قولهم ﴿وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ هل هو اعتراف من إخوة يوسف بأنهم كاذبون؟

والجواب عن ذلك أن يقال: ليس هذا مرادَهم؛ وإنما مرادُهم أنك لن تصدقنا حتى وإن كنا من أهل الصدق والثقة، وذلك لفرط محبتك ليوسف، ولسوء ظنك بنا[1].

❊❊❊

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٥٧٨)، الكشاف (٢/ ٤٢٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٥).

الإشكال السابع

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يوسف: الآيات ١٩-٢٠].

الضمير (الواو) في قوله ﴿وَأَسَرُّوهُ﴾ وفي ﴿وَشَرَوْهُ﴾ تعود على مَن؟

قبل إيضاح ذلك يحسن بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ وقوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ ليتضح معنى الكلام.

فأما قوله تعالى ﴿وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً﴾ فالمراد: أخْفَوه فكان من ضمن بضاعتهم، أي صار حالُه عَلَيْهِ السَّلَامُ بضاعةً، لأنهم أرادوا استرقاقَه ثم بَيْعَه[(١)].

وأمّا قوله: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ فمعناه: باعوه بثمنٍ قليل ناقصٍ عمّا يستحقّه مثله[(٢)]، يقال: شَرى بمعنى: باعَ، ويقال: اشترى بمعنى: ابتاع[(٣)].

وأما على مَن يعود الضمير في (أسرُّوه) و (شروه)؟ فقولان لأهل التفسير:

القول الأول: يعود على إخوة يوسف، والمعنى: أنهم أسرُّوا شأنَه، وكتموا أن يكون يوسفُ أخاهم؛ بل قالوا لورّاد الماء الذين استخرجوه من البئر: إنه عبدٌ لنا أبَقَ منّا، فيكون بهذا المعنى بضاعةً لهم، فعرضَ ورّادُ الماء عليهم أن يبيعوه لهم، فباعوه بثمن بخسٍ، لأنهم لم يكن هدفُهم مما فعلوا المتاجرةَ ببيعه؛ وإنما أرادوا

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٤)، زاد المسير (٤/ ١٩٥)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٢-٢٤٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٠-١١)، تفسير البغوي (٤/ ٢٢٤)، تفسير السعدي (ص ٣٩٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٦)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٣).

التخلّص منه فحسب، ولذلك كانوا فيه من الزاهدين.

والقول بأن الضمير في هذه الحكاية يعود على إخوة يوسف هو قول ابنِ عباس[(١)].

وذلك أن إخوة يوسف دَلَّوهُ في البئر، ولم يكن قصدُهم إهلاكَه وإلاّ لقتلوه ابتداءً، وإنما كانوا يريدون أن تأتي سيّارةٌ فيلتقطوه، وكان بعضهم يراقب المشهد، فلما جاء بعضُ السيّارة للبئر وأخرجوا يوسف جاء إليهم إخوتُه وقالوا: هذا عبدٌ لنا أبَقَ منّا، فعرَض عليهم ورّاد الماء أن يبتاعوه منهم فباعوه بثمنٍ بخس، وطلب إخوة يوسف منهم أن يشدّوا وَثاقه حتى لا يهرب منهم، ولم يعارضهم يوسفُ في ذلك خشية أن يقتلوه[(٢)].

القول الثاني: أن الضمير في الحالين يعود على ورّاد الماء وليس على إخوة يوسف، ويكون المعنى على هذا الوجه: أنهم لما أدْلوا دلوَهم وتعلّق به يوسفُ فخرج فرحوا به واستبشروا ليبيعوه ويأكلوا ثمنه، ولكنهم خشوا إنْ أخبروا قومَهم من السيّارة أن ينازعوهم في ثمنه؛ لذلك أسرّوه بضاعةً لديهم؛ إما لأنهم أخفوه عن أعين القوم، أو أنهم قالوا لهم: إنّا وجدنا هذا الغلام عند الماء مع أهله فاستبضعناه منهم، أي: اشتريناه بِحُرِّ مالِنا منهم. ثم إنّ هؤلاء الذين أخذوا يوسف باعوه بثمن بخسٍ قليل، وذلك يعود لأحد الأسباب التالية:

١. إمّا لجهلهم بمعرفة أسعار الرقيق حيث لم يكونوا من أهل هذه التجارة.

٢. أو لأنهم تملّكوه بلا تعب، والملتقِط للشيء بلا مقابل يتساهل في بيعه.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ٧ - ٩)، مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٧).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٠٤)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٦)، تفسير السعدي (ص ٣٩٥).

٣. أو لأنهم يريدون التخلّص منه بأسرع وقت خشيةَ أن يُدركهم أهلُ هذا الغلام فينتزعوه منهم.

والقول بأنّ الضمير يعود على ورّاد الماء أقربُ للصواب، وهو قول الحسن وقتادة[١]، واختاره الزمخشري[٢] والرازي[٣] وابن عاشور[٤].

❊❊❊

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢١١٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٧٧).

(٢) انظر: الكشّاف (٢/ ٤٢٦).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٥).

(٤) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٤٢ -٢٤٣).

الإشكال الثامن

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: آية ٢٤].

ما المراد بهمِّ يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بامرأة العزيز؟

هذه المسألة من المسائل التي طال فيها الخلاف بين العلماء قديمًا وحديثا، ولاشك أنها مسألة مُهمَّةٌ تحتاج لتجلية وبيان(١).

قال الفخر الرازي: «اعلم أن هذه الآية من المهمات التي يجب الاعتناء بالبحث عنها»(٢).

ويقال ابتداءً: إنّ همّ المرأةِ بيوسفَ واضحٌ لا إشكال فيه، فالمراد به العزيمة والإصرار على فعل الفاحشة، لا خلاف في ذلك بدليل قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: آية ٢٣]. فهي هنا قد عملت كل الأسباب لفعل ما سوّلت لها نفسُها القيامَ به من الفاحشة. بل قد صرّحت بذلك بكل صفاقة حين قالت للنسوة: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف: آية ٣٢].

قال القرطبي: «لا خلاف أن همَّها كان المعصية»(٣).

---

(١) ممن بحث هذه المسألة باستفاضة الدكتور صالح الفايز في كتابه: بيان مشكلاتٍ في حقِّ الأنبياء (ص٩٣ -١٢٧).

(٢) مفاتيح الغيب (١٨/ ٩٢).

(٣) تفسير القرطبي (٩/ ١٦٥).

وأمّا همُّه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فقد جرى فيه اختلاف كبير بين المفسرين، والذي عليه عامّةُ أهل التفسير أن المقصود من همِّ يوسف هو الهمُّ الجازم بفعل المعصية إلا أن الله صرَفه عن فعل الفاحشة لَـمّا رأى برهان ربّه، وذكروا في ذلك أموراً يحسُن الإعراض عنها حفظاً لمقام هذا النبي الكريم!

وقد نصَّ على أن هذا القولَ هو قولُ عامةِ المفسرين كلٌّ من ابن جرير الطبري(١) وأبي الفرج ابن الجوزي(٢) والقرطبي(٣).

والصواب أن همَّه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بها لم يكن كذلك، وكيف يليق بنبيٍّ من أنبياء الله أن يفعل مثل هذه الأفعال الشنيعة التي لاتليق بأدنى رجلٍ من الصالحين فكيف بنبيٍّ من كرامِ أنبياءِ الله؟!

قال ابن الجوزي: «والأنبياء معصومون من العزم على الزنا»(٤).

وقد شنّع الرازي على مَن قال بهذا القول من العلماء وبالغ في وصفهم بأوصافٍ لا يوافق عليها!(٥).

وقد أحسن الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الردِّ والتماس العذر لهؤلاء العلماء حول هذا الموضوع فقال: «هذه الأقوال التي رأيتَ نسبتَها إلى هؤلاء العلماء منقسمةٌ إلى قسمين:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٨).

(٢) ((انظر: زاد المسير (٤/ ٢٠٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٦٦).

(٤) زاد المسير (٤/ ٢٠٥).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٩٤).

* قسم لم يثبت نقلُه عمن نقلَه عنه بسند صحيح، وهذا لا إشكال في سقوطه.

* وقسم ثبت عن بعض من ذُكر، ومن ثبت عنه منهم شيء من ذلك، فالظاهر الغالب على الظن المزاحم لليقين: أنه إنما تلقَّاه عن الإسرائيليات؛ لأنه لا مجال للرأي فيه، ولم يُرفع منه قليلٌ ولا كثيرٌ إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبهذا تَعلم أنه لا ينبغي التجرُّؤ على القول في نبيِّ الله يوسف بأنه جلس بين رِجلَي كافرة أجنبية، يريد أن يزني بها؛ اعتماداً على مثل هذه الروايات. مع أن في الروايات المذكورة ما تلوح عليه لوائحُ الكذب؛ كقصة الكفِّ التي خرجت له أربع مرات، وفي ثلاث منهن لا يبالي بها! لأن ذلك -على فرض صحته- فيه أكبرُ زاجرٍ لعوامِّ الفساق، فما ظنك بخيار الأنبياء؟!»[1].

ولذلك فالصواب أن الهمّ هنا له معنىً آخر غير ما ذكر.

وأجود الأقوال في المراد بالآية قولان:

الأول - وهو أجودهما -: أن الهمّ الذي وقع منه عَلَيْهِ السَّلَامُ كان حديث نفس، وخَطْرةً عرَضتْ له، لكنها لم تكن مصحوبة بعزيمة يتبعها الشروع في مقدمات الفاحشة؛ وإنما هو مجرد شيء عَرَض له بناء على ما رأى[2]، وهذا أمرٌ لا يُلام عليه لأنه بشرٌ لديه ما لدى الرجال من غريزة الميل للنساء، لكن ذلك لم يَعْدُ أن يكون همّا عارضا سرعان ما أتبعه بقوله: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾.

(١) أضواء البيان (١٣/ ٢٦ -٢٨).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٩)، الكشاف (٢/ ٤٣٠)، مفاتيح الغيب (١٨/ ٩٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨١).

قال ابن الجوزي: «إنما همَّت فترقَّت همَّتُها إلى العزيمة فصارت مصرّة على الزنا، فأما هو فعارَضَه ما يُعارض البشر من خطرات القلب وحديث النفس من غير عزمٍ، فلم يُلزمه هذا الهمُّ ذَنبًا؛ فإن الرجل الصالح قد يخطر بقلبه وهو صائم شرب الماء البارد فإذا لم يشرب لم يؤاخذ بما هَجَسَ في نفسه»(١).

وبهذا يُعلم أن الهمَّ يختلف معناه من حال إلى أخرى.

قال الإمام أحمد: «الهمُّ هَمَّانِ: همُّ خطَراتٍ، وهمُّ إصرار»(٢).

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية إشارةً لطيفة تعضد هذا القول وتقوّيه حيث قال: «يوسفُ لم يفعل ذنبًا ذكره الله عنه، وهو سبحانه لا يَذكر عن أحد من الأنبياء ذنبًا إلا ذكر استغفارَه منه، ولم يَذكر عن يوسف استغفاراً من هذه الكلمة. كما لم يَذكر عنه استغفاراً من مقدِّمات الفاحشة؛ فعُلم أنه لم يفعل ذنبا في هذا ولا هذا؛ بل همَّ همّاً تَركَه لله؛ فأُثيبَ عليه حسنةً»(٣).

القول الثاني: إن المقصود بالهمّ هو العزم والإصرار على فعل الحرام لكنَّ ذلك لم يكن قد حصل منه، لأنه رأى برهان ربِّه. أمَا وقد رأى ذلك البرهان فإن الهمّ لم يقع، ولذلك يكون الوقوف عند قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾، ثم تُستأنف الجملة: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾.

قال أبو عبيدة: «هذا على التقديم والتأخير،كأنه أراد: ولقد همَّت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها»(٤).

---

(١) زاد المسير (٤/ ٢٠٤).

(٢) نقل عنه ذلك القول ابنُ تيمية في: دقائق التفسير (٢/ ٢٧٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ١١٧).

(٤) انظر: لسان العرب (٦/ ٤٧٠٣).

وقال الزجاج: «أي: لولا أن رأى برهان ربه لواقَعها، أو لهمّ بها»[(١)].

وأمّا البرهان الذي رآه يوسف فجاءت فيه أقوال كثيرة ليس في شيء منها أثرٌ يصحّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ ويكفي أن نعرف أن البرهان الذي رآه هو شيء صرفه الله به عن الفاحشة، وجعله أكثر إيمانًا وأبعدَ عمَّا حرمه الله.

قال ابن جرير الطبري: «والصواب أن يقال في ذلك ما قاله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والإيمان به، وترك ما عدا ذلك إلى عالِمه»[(٢)].

وهاهنا مسألة نحوية ينبغي ذكرها: وهي بيان جواب ﴿لَوْلَآ﴾ الواردة في الآية، والصواب أن يقال: إن جوابها محذوف دلَّ ما قبله عليه، فيكون التقدير: لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها، أو لواقَع المعصية، وهو ما أشار إليه العكبري[(٣)] وأبوحيّان[(٤)] والشنقيطي[(٥)] وغيرهم.

ولايصح أن يقال: إن جواب ﴿لَوْلَآ﴾ هو (همّ بها)؛ لأن جوابَها يكون حينئذٍ سابقًا عليها، وهذا وجه ضعيفٌ في اللغة.

قال ابن الجوزي: «تقديم جواب ﴿لَوْلَآ﴾ عليها شاذٌّ مُستكرَه، لا يوجد في فصيح كلام العرب»[(٦)].

---

(١) إعراب القرآن، الزجاج (١/ ٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٤٩).

(٣) انظر: التبيان في إعراب القرآن، العكبري (٢/ ٥٤).

(٤) انظر: تفسير البحر المحيط (٥/ ٢٩٥).

(٥) انظر: أضواء البيان (١٣/ ١٥).

(٦) زاد المسير (٤/ ٢٠٦).

وأشار إلى ضعف هذا الوجه أيضا الطبري[١] والنحاس[٢] والبغوي[٣] وابن كثير[٤].

وقد ذُكرتْ أقوالٌ أخرى في توجيه معنى (همّ بها)، ولا تخلو من ضعف، منها أن المراد:

١. همّ بضربها.

٢. تمنّاها أن تكون زوجة له

٣. همَّ بالفرار منها.

وقيل غيرُ ذلك مما هو أضعف وأوهى[٥].

❊❊❊

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٩).

(٢) انظر: إعراب القرآن، النحاس (٢/ ١٩٩).

(٣) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٢٩).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨١).

(٥) انظر هذه الأقوال وغيرها في معنى همّ يوسف في: الكشف والبيان (٥/ ٢١٠)، زاد المسير (٤/ ٢٠٥-٢٠٧)، تفسير القرطبي (٩/ ١٦٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨١).

الإشكال التاسع

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: آية ٣١].

في هذه الآية إشكالان:

الإشكال الأول: في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ ظاهر سياق القصة أنه لم يرد حديثٌ عن مكر النسوة؛ وإنما غاية ما ذُكِر هو قولهنّ: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: آية ٣٠] فأين المكر؟

قيل في ذلك عدة أقوال:

* **القول الأول:** معنى ﴿سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ أي: سمعت بقولهنّ. وهو قول السدّي وقتادة[(١)].

* **القول الثاني:** أنهنّ لما عَلِمن بجمال يوسف أحببن رؤيته، فكان مكرُهنّ أنهنّ قلن هذا الكلام ليصل إلى امرأة العزيز فيستحثها ذلك على دعوتهنّ ليرينه. وهو قول محمد بن إسحاق[(٢)].

* **القول الثالث:** أن مكرهنّ هو إفشاء سرِّها؛ حيث إنها أخبرَتهن بأمرِ يوسف على أن لايفشين ذلك فأَذَعْنَه وأفْشَينه![(٣)]

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٦٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٠١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٥)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٢).

(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٤٣٦)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٣٨)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٠١)

الإشكال الثاني: في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: آية ٣١].

ما الذي دعا أولئك النسوة إلى تقطيع أيديهنّ؟ وكيف تمّ ذلك؟

أحسن ما قيل في ذلك أن امرأة العزيز لما سمعت بما قال تلك النسوة دعتهنَّ إلى بيتها، وجهّزت لهنّ مكاناً يأكلن فيه الطعام والفاكهة وهو (المتّكأ) الوارد في الآية، وأعطت كلاً منهنّ سكِّينا كي تقطِّع بها الفاكهة، فلما شرعْن في تقطيع الفاكهة أدخلت عليهنّ يوسف، فحين رأين حسنَه وجمالَه راعَهُنّ ذلك ودُهشن لما رأين، وظَلَلْنَ - من غير قصدٍ - يحرِّكن السكاكين اللاتي كنّ يقطعن بها الفاكهة حتى جرى التقطيع على أيديهنّ من غير أن يشعرن بذلك لهول ما رأينَ، فقلن متعجباتٍ: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [يوسف: آية ٣١].

والمراد بتقطيعهنّ لأيديهنّ: أي جرحها بإمرار السكاكين عليها، وليس إبانتَها عن أجسادهنّ، وهو قول أكثر أهل العلم خلافا لما قاله مجاهد وقتادة[1].

❋❋❋

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٨٥).

الإشكال العاشر

في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يوسف: آية ٣٣].

لماذا قال ﴿يَدۡعُونَنِيٓ﴾ مع أن التي دعته -كما هو ظاهر الآيات -واحدةٌ وهي امرأة العزيز حين قالت: ﴿وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾؟ [يوسف: آية ٣٢]

ذكر عددٌ من المفسرين جواب ذلك: بأن امرأة العزيز لما هدّدت يوسف بالسجن إنْ لم يجبها إلى ما تريد من الفاحشة؛ طفِق النسوةُ يحرّضن يوسفَ على إجابة رغبة سيّدته ويخوِّفْنَه من بطشها إن هو لم يُطِعها إلى ما تريد، فصارت الدعوةُ إلى فعل الفاحشة بهذه الحال صادرةً من أولئك النسوة جميعا، وليس من امرأة العزيز وحدَها[1].

❋❋❋

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤٤٠)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٤١)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٠٥)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٦٦).

الإشكال الحادي عشر

في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [يوسف: آية ٣٦].

ما وجهُ وصفِ صاحبي يوسفَ ليوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه من المحسنين، مع أنهما طلبا تأويل رؤياهما، وتأويل الرؤى يحتاج إلى علم، فكان من المتوقع أن يصفاه بالعلم والمعرفة لا بالإحسان؟

أجاب عن ذلك الطبري بقوله: «إنّ وجه ذلك أنهما قالا له: نبِّئنا بتأويل رؤيانا محسنًا إلينا في إخبارِك إيانا بذلك، كما نراك تُحسن في سائر أفعالك»[(١)].

❋❋❋

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١٠٠)، وانظر أيضًا: زاد المسير (٤/ ٢٢٣) فقد ذكر عدة أقوال أخرى في بيان معنى الآية لكنها لاتخلو من تكلُّف!

الإشكال الثاني عشر

في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يوسف: آية ٣٧]

في هذه الآية إشكالان:

الإشكال الأول: ما المراد بقوله ﴿إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾؟

أحسن ما قيل في معنى هذه الآية ما ذكره ابن عاشور من أن المراد بذلك أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لصاحبيه في السجن لمّا سألاه عن تأويل ما رأياه في المنام: سأنبّئكم بتأويل ما سألتما عنه قبل موعد إحضار الطعام لكما، فالضمير في (تأويله) يعود على ما رأوه في المنام، وليس على الطعام نفسه، وقد كان السجّانون في ذلك الوقت يعطون المساجين وجبة طعام في وقتٍ محدّد، وهو أمرٌ قد اعتاد عليه المساجين، ويظهر أن وقت إحضار الطعام كان قريبا لمّا سألاه عن الرؤيا، ولذلك قال لهما: سأخبركما بالتأويل قبل أن يحضر طعامُكما المعتاد، ثم نسب الفضل لله تعالى في هذه النعمة التي أكرمه الله بها فقال: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾[1].

الإشكال الثاني: في قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾

قد يوهم ظاهرُ الآية أن يوسف كان يدين بدينِ الكفار ثم ترك دينهم ومِلّتَهم، فكيف يكون ذلك؟

---

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٥٤).

والجواب عن ذلك أن يقال: لايلزم من ترك الشيء أن يكون التارك له قد تلبَّس به، وقد أشار إلى ذلك ابنُ عطية[١] والرازي[٢] والسعدي[٣] وغيرهم.

وقال الشوكاني: «المراد بالترك هو عدم التلبُّس بذلك من الأصل، لا أنّه قد كان تَلبَّسَ به ثم تركه، كما يدل عليه قوله: ﴿مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشۡرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ﴾ [يوسف: آية ٣٨]»[٤].

وقد جاء تفسير (الترْك) الوارد في الآية في كتب التفسير بعدة معانٍ:

فالطبري فسّر قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ بأن المعنى: «برئت من ملّةِ مَن لا يُصدِّق بالله»[٥].

وابنُ كثير فسّر الآية: «إني اجتنبتُ ملَّةَ الكافرين بالله»[٦].

وقال أبو السّعود: «المراد بتركها: الامتناعُ عنها رأسًا»[٧].

وذكر الرازي جوابًا آخرَ وهو أن يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ حينما كان في الرقّ كان لايُظهر عقيدتَه خوفًا من سيِّده ومَن حولَه، فلمّا كان في السجن أعلن ذلك، فكان هذا جاريًا مجرى ترك ملةِ أولئك الكفار بحسب الظاهر[٨].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٠).

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص٣٩٧).

(٤) فتح القدير (٣/ ٣٢).

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ١٠١).

(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨٩).

(٧) إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٧٧).

(٨) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٠).

الإشكال الثالث عشر

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: آية ٤٢].

في هذه الآية إشكالان:

الإشكال الأول: في قوله: ﴿ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ ما معنى الظن هنا؟

جرى في ذلك خلاف بين المفسرين، فبعضهم حمل الظنّ على ظاهره، وأنه يعني عدم اليقين. قال قتادة: «إنما عبارةُ - أي: تعبيرُ - الرؤيا بالظنّ، فيُحِقُّ الله ما يشاء ويُبطل ما يشاء»(١).

وتفسير قتادة هذا ردّه الطبري وبيّن أن تعبير الرؤيا أمرٌ ظَنِّيٌ لكنْ عند غير الأنبياء، أما الأنبياء فلا يجري عليهم ذلك، لأنه خبرٌ عن أمرٍ سيحدث، ولا يمكن أن تخبر الأنبياءُ عن أمرٍ فلا يكون؛ لأن ذلك لو جاز وقوعُه لم يُؤْمَن أن يجري على غيره من الأخبار التي تُخبر بها الأنبياء، ولكان ذلك حُجَّةً للمكذبين للرسل. ثم إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ذكر لصاحبيه التعبيرَ على وجه القطع لا الظن فقال: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: آية ٤١](٢).

وإذا كان ذلك كذلك فما معنى الظن في الآية؟ وعلى مَن يعود؟

يمكن أن يجاب عن هذا الإشكال بأحد جوابين:

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١١٠)، الكشف والبيان (٥/ ٢٢٥)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٤٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١١٠).

الأول: أن الظنَّ هنا يعود إلى يوسف؛ لكنَّه ظنٌّ بمعنى اليقين[(١)]، والظنُّ بمعنى اليقين له نظائرُ كثيرةٌ في القرآن، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة: آية ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة: آية ٢٠]. والظنُّ في هاتين الآيتين بمعنى اليقين قطعًا، وإذا حُمِل ظنُّ يوسف في الآية على هذا المعنى فلا إشكال حينئذٍ.

الثاني: أن الذي ظنّ ليس هو يوسف؛ وإنما هو صاحبه الذي نجا من السجن وصار ساقيًا للملِك. فيكون المعنى: وقال يوسفُ لصاحبه الذي ظنّ أنه سينجو من السجن بسبب تعبير يوسف له: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: آية ٤٢][(٢)].

الإشكال الثاني: في قوله تعالى: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: آية ٤٢]

على مَن يعود الضمير في قوله ﴿فَأَنسَىٰهُ﴾؟

هناك قولان لأهل التفسير:

القول الأول: أنه يعود ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا هو قول عامّة المفسرين[(٣)].

القول الثاني: أنه يعود لصاحب يوسف في السجن، ولا يليق أن يقال: إنه يعود على يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لما في ذلك من انتقاصٍ لمقامه؛ إذْ كيف يليق بنبيٍّ من صفوة عباد الله وصَفَه الله بأنه من عباده المخلَصين أن ينسى ذكر الله؟!

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤٤٥)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٤٧)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٤٧)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٥).

(٣) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١١١)، الكشف والبيان (٥/ ٢٢٥)،تفسير البغوي (٤/ ٢٤٤)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٦).

ورجّح هذا القول ابنُ كثير، وعزاه لمجاهدٍ ومحمدِ بنِ إسحاق[(١)]، واختاره السعدي[(٢)].

وقد بسط محمد رشيد رضا هذه المسألة، ورجَّح أيضًا ما رجَّحه ابنُ كثير والسعدي، وذكر ستة أوجه تؤيد ما ذهب إليه[(٣)]، وهي أوجهٌ حِسانٌ جديرةٌ بالنظر إلا أن الأخذ بالقول الأوّل أولى لورود حديثٍ صحيح يعضُده، وما دام أن هناك حديثًا ثابتًا في المسألة فهو قاطعٌ للنزاع، وإذا حضر نهرُ الله بطل نهر معقل!

والحديث الوارد في ذلك هو حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رحم الله يوسف لولا الكلمة التي قالها: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ ما لبث في السجن ما لبث»[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩١)، وانظر نسبة القول لابن إسحاق أيضا في تفسير الطبري (١٦/ ١١٣)، الكشف والبيان (٥/ ٢٢٥)، تفسير القرطبي (٩/ ١٩٤).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص٣٩٨).

(٣) انظر: تفسير المنار (١٢/ ٢٥٨).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢١٤٨)، وابن حبان في صحيحه (١٤/ ٨٦) وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان: «إسنادُه حسن».

وقد أخرج الطبري حديثًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لو لم يقل يوسف - يعني الكلمة التي قال - ما لبث في السجن طول ما لبث». ولكنّ هذا الحديث ضعيف جدا كما قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٩١)، لأن فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي القرشي، قال الشيخ أحمد شاكر عنه: «متروكٌ منكرُ الحديث، ليس بثقة، كان يُتهم بالكذب» انظر: تعليق الشيخ أحمد شاكر على هذا الحديث في تحقيقه لتفسير الطبري (١٦/ ١١٢) حديث رقم (١٩٣١٥). ولعدم ثبوت هذا الحديث ضعّف بعض أصحاب القول الثاني نسبة الضمير في قوله تعالى: (فأنساه الشيطان ذكر ربه) ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، لكنَّ الحديثَ ثبت من وجهٍ آخر كما ترى والله أعلم.

وهـذا يعني أن لُبثه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في السـجن كان بسـبب طلبه ذلـك من صاحبه، وعـدم قطع علائقـه بالخلق، فوقعت عليـه الملامة من الله، وإنمـا جرى له ذلك بسـبب الشـيطان، قال الله: ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾، وكان الأولى به أن لايلجأ إلاّ إلى الله وحده؛ لذا كانت العقوبة لبثه في السجن بضع سنين.

وقـد يُسـتَدرك على هـذا القول بـأن الأخذ به فيـه انتقاصٌ من مقـام نبيّ الله يوسـف، وهذا الاسـتدراك غيرُ متوجِّه، وذلك أن النسيان الذي عُصم منه الأنبياء مقصورٌ على ما يبلغونه عن الله تعالى، فهذا يستحيل فيه النسيان، وأمّا ما عدا ذلك فإنه يجري عليهم ما يجري على بقية الناس. ذكر ذلك القرطبي[(١)].

وقد أثبت الله في كتابه النسيان لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: ﴿وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: آية ٦٨].

قال القرطبي: «المعنى: يا محمد إن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم فجالستَهم بعد النهي»[(٢)].

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن نفسه: «**إنما أنا بشرٌ مثلُكم أنسى كما تنسون**»[(٣)].

وأبان عن حالةٍ تمرُّ به – وهو سـيّد الخلق وإمـام المتقين – فقال: «**إنه لَيغَان على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**»[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (٩/ ١٩٦).

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٤).

(٣) أخرجـه البخاري، كتـاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيـث كان (١/ ٨٤) حديث رقم (٤٠١)، ومسلم في صحيحه (١/ ٤٠٠) حديث رقم (٥٧٢) كلاهما عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه مسـلم، كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٤/ ٢٠٧٥) حديث رقم (٢٧٠٢) عن الأغرّ المزني رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي: «المراد هنا: ما يتغشّى القلب. قال القاضي: قيل المراد: الفترات والغفلات عن الذِّكر الذي كان شأنه الدوام عليه، فاذا فَتَر عنه أو غَفل عَدَّ ذلك ذنبًا واستغفر منه»(١).

وقد يرد هنا إشكال: ما دام أن النسيان يجري على الأنبياء كغيرهم من البشر فلماذا يُعاقب يوسف إذاً بالبقاء في السجن بضع سنين؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن العقوبة لم تكن على النسيان، وإنما كانت على طلب يوسف من صاحبه أن يذكره عند الملك. وكان الأولى به -كما سبق- أن لا يتعلق بأحدٍ غير الله.

وهذا لايعني أن طلب المساعدة والشفاعة من الناس أمرٌ محرّم، ولكنّ تركَها أكملُ وأتمّ، خاصةً في حقِّ خيار الناس.

قال الفخر الرازي: «اعلم أن الاستعانة بالناس في دفع الظلم جائزة في الشريعة، إلا أن حسنات الأبرار سيئاتُ المقرَّبين، فهذا وإن كان جائزاً لعامّة الخلق إلا أن الأولى بالصدّيقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسباب بالكلية، وأن لا يشتغلوا إلا بمسبِّب الأسباب»(٢).

وقد ذكر الطاهر ابن عاشور تفسيراً لقوله تعالى ﴿فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ﴾ لم أجده عند غيره، توسّط فيه بين القولين، ومَفاد هذا التفسير: أن الشيطان أنسى يوسفَ ذكرَ ربِّ صاحبه وهو الملك، فلم يسألْ يوسفُ اللهَ أن يُلهمَ الملِك تذكُّر شأنِه. قال ابن عاشور: «وكان ذلك عتاباً إلهياً ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٣).

(٢) مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٦).

اشـتغاله بعَون العباد دون اسـتعانة ربه علـى خلاصه، ولعلّ في إيـراد هذا الكلام علـى هذا التوجيـه تلطّفًا في الخبر عن يوسـف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لأن الـكلامَ الموجَّه في المعاني الموجهةِ ألطفُ من الصريح»[1].

❊❊❊

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٢٧٩).

الإشكال الرابع عشر

في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٤٤﴾

[يوسف: آية ٤٤].

هذا الجواب من حاشية الملك لمّا سألهم عن رؤيا رآها في المنام فأجابوه بأن ما رآه (أضغاث أحلام) أي: «أخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها»[(١)]. ثم أردفوا ذلك بقولهم: (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين)! فكيف يَصِفُون الرؤيا بأنها (أضغاث أحلام) ثم ينفون عن أنفسهم العلم بتأويل الأحلام؟! فمادام أنهم فرّقوا بين الرؤيا والأحلام فهذا يعني أن لديهم علماً بالتأويل.

والجواب عن ذلك أن يقال: إنهم إنما نفوا عن أنفسهم علم تأويل الأحلام، وليس علم تأويل الرؤى، فكأنهم قالوا: نحن نعرف تأويل الرؤيا إذا كانت متَّسقة منتظمة، أما ما جرى فيها الأخلاط والاضطراب فلا علم لنا بها[(٢)].

❋❋❋

(١) تفسير الطبري (١٦/ ١١٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١١٧)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٨)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١١٨)، تفسير المنار (١٢/ ٢٦٢).

الإشكال الخامس عشر

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف: آية ٥٠].

لِماذا طلب يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ سؤال ﴿ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ عن سبب سجنه ولم يقتصر على ذكر امرأة العزيز؟ مع أنها هي التي راودته، وهي التي اتهمته بأنه أراد بها سوءً، وكان من جرّاء ذلك سجنه بضع سنين.

يجاب عن ذلك بأحد جوابين:

* **الأول:** أن يوسف قال ذلك من تمام أدبه وكمال خُلقه؛ وذلك وفاءً لزوجها الذي أحسن مثواه، كما أن فيه مراعاةً لمشاعر سيّدته، ورحمةً بها، فلم يُرِدْ إحراجها[1]، وربما لأن شَغَفها به كان أمراً قاهراً لها، خارجاً عن طوع يدها[2].

* **الثاني:** أن ذلك كان من ذكاء يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وحصافته؛ لأن يوسف لو ذكر امرأة العزيز بعينها لربما صرَف المَلِكُ النظرَ في أمرِه، وذلك لمكانة العزيزِ عند الملك.

وشيءٌ آخرُ قَصَدَه يوسفُ من ذكر النسوة، وذلك أنهنّ كنّ شاهداتٍ على امرأة العزيز حين أقرّت بأنها راوَدت يوسفَ عن نفسه في المجلس الذي قطّعنَ أيديهنّ فيه، فلو أن يوسف ذكر امرأة العزيز دون النسوة لربما استدعاها الملك

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤٥١)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٢)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٢٣).

(٢) انظر: تفسير المنار (١٢/ ٢٦٦).

فأنكرت ما قال يوسف، فلم يتضح الحقّ! لكنّه طلب سؤال النِّسوةِ ليكون ذلك أدعى لجلاء الحقيقة، وظهور براءته. وهذا منه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منتهى الحِكمة وبعد النظر[1].

❊❊❊

(١) انظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٩).

الإشكال السادس عشر

في قولـه تعالـى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٢ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾

[يوسف: الآيات ٢٥-٥٣]

مَن قائل هذا الكلام؟ هل هو يوسف أم امرأة العزيز؟

قولان لأهل التفسير:

القول الأول: هو كلام يوسف، وهذا الذي ذهب إليه جمهور المفسرين(١).

ويكون معنى الآية على هذا القول: إن يوسف لمّا جاءه رسول الملك بخبر اعتراف النسوة ببراءته قال عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ذلك الامتناع مني بعدم الخروج من السجن لمّا طلب الملك أن آتيه لأجل أن يعلم العزيز -زوج المرأة- أني لم أخنه في زوجته في غيابه، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين، وما أبرئ نفسي حين أقول ذلك، فإنما عصمني الله، والنفس أمّارة بالسوء إلا من عصمه الله منها.

القول الثاني: أن هذا من كلام امرأة العزيز، وهو من جملة كلامها السابق حين قالت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾ [يوسف: آية ٥١]، ثم قالت: ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: قلت ذلك الكلام واعترفت ببراءة يوسف ليعلم زوجي أني لم أَخُنه بالغيب، فلم يقع منِّي فعلُ الفاحشة مع يوسف - فكأنها تطمئن زوجها بأن عرضَه مصونٌ لم يُدنَّس بفاحشة - وإنما الذي حصل هو مراودةٌ منّي ليوسف

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٤٠)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٤)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٢٣)، التحرير والتنوير (١٢/ ٢٩٢).

لِما وقع عليه من الجمال والحسن الفاتن، فلم أصبر عنه، وما أبرئ نفسي؛ حيث قد وقع مني بعض الزلل وهو مراودتي إياه، والنفس أمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي[(١)].

وقيل: بل الضمير في قولها: ﴿لَمْ أَخُنْهُ﴾ يعود على يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمعنى: بَرَّأتُ يوسف من الفاحشة ليعلم - أي: يوسف - أني لم أخنه بالغيب منذ سُجن، فلم أتَّهِمْه بمراودتي، ولم أغمِزه في أمانته؛ بل هأنذا أُبرِّئه وهو غائب، حتى لا أجمع له بين اتهامه في حضوره حين اتهمتُه، وفي غيبته حين غاب في السجن[(٢)].

والقول الثاني المتضمّن أن هذا من كلام امرأة العزيز وليس من كلام يوسف هو الأقرب للصواب، وإن كان الأكثرون على القول الأوّل، لكنَّ سياقَ الكلام ونظمَه يعضدُه. «والقول بأن بعضَه كلامُ المرأة والبعضَ كلامُ يوسفَ مع تخلُّلِ الفواصل الكثيرة بين القولين وبين المجلسين بعيدٌ»[(٣)].

وهو اختيار الفخر الرازي[(٤)]، وابنِ تيمية[(٥)]، وابنِ كثير[(٦)].

قال ابنُ تيمية: «﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ من كلام امرأة العزيز كما يدلُّ القرآنُ على ذلك دلالة بيِّنة لا يرتاب فيها من تدبر القرآن»[(٧)].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٣)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٥)، تفسير المنار (١٢/ ٢٦٧).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٤٥٢)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٣)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٢٣).

(٣) من كلام الفخر الرازي. انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٢٣).

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٨).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٥).

(٧) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٨).

بـل إنَّ ابـنَ تيمية قال عن القول الأول: «وهو قولٌ في غاية الفسـاد، ولا دليل عليه؛ بل الأدلة تدلُّ على نقيضه»[(١)].

ومما يؤيد هـذا القول أن يوسـف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يكن حاضـرا المجلسَ الذي استدعى فيه الملكُ النسـوةَ وأقرّت فيه امرأة العزيز ببراءة يوسـف، فكيف يقول يوسـف: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾ وهو غير شـاهدٍ لكلام امرأة العزيز؟! ولو قيـل بأنـه مـن ضمن كلامـه لاقتضى السـياق أن يقـال: فرجع الرسـولُ -بعد أن اعترفت امرأة العزيز - إلى يوسف في سجنه فأخبره باعترافها ببراءته فقال حينها: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ﴾، وهذا أمرٌ ظاهرُ التكلّف![(٢)]

❊❊❊

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٢٣)، مجموع فتاوى ابن تيمية (١٠/ ٢٩٨).

الإشكال السابع عشر

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف: آية ٥٩].

قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: (ائتوني بأخ لكم من أبيكم) يوحي بأنه أشعرهم بمعرفته لهم، ولذلك سأل عن أخيه، وهذا لا يستقيم وسياقَ القصة، فإن يوسف وإنْ عَرَفهم لكنَّه أخفى عنهم ذلك حتى آخر الأمر حين قال ﴿أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَا أَخِي﴾ [يوسف: آية ٩٠] فلماذا سأل إذاً عن أخيه؟

قيل في ذلك عدة أقوال كلُّها مبنيّة على روايات إسرائيلية وضّحت الإشكال في هذه الآية، ومن أبرز الأقوال في بيان ذلك:

القول الأول: أن إخوة يوسف لما دخلوا عليه وعرفهم أراد بطريق الحِيلة أن يَقْدُموا بأخيه إليه، فسألهم: مَن أنتم فإني أُنكِرُ شأنكم؟ قالوا: نحن قومٌ من أرض الشام جئنا لطلب الطعام والمِيرة. قال: لعلكم جئتم عيوناً وجواسيس على بلادي؟ فأنكروا ذلك، فسألهم عن حالهم وأعدادهم فأخبروه أنهم أبناءُ نبيِّ الله يعقوبَ، وأنهم اثنا عشر رجلا، هلك أحدهم في البرّية - ويعنون به يوسف -، وبقي الآخرُ عند أبيهم، عندها قال يوسف: ائتوني بأخيكم هذا حتى أصدقكم، وإلا فلا تأتوا إليَّ مرةً أخرى ولا تقربون[1].

وذكر السدي أنه أخذ بعضهم رهائن عنده حتى يُحضِروا أخاهم، وردّ ذلك ابنُ كثير وقال: «في هذا نظر؛ لأنه أحسن إليهم ورغّبهم كثيراً، وهذا لحرصه

(١) انظر: تفسير الطبري(١٦/ ١٥٣)، الكشاف (٢/ ٤٥٦)، المحرر الوجيز٣/ ٢٥٧).

على رجوعهم»[(١)].

وهذا القول الذي يحكي أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ اتَّهم إخوته بأنّهم عيونٌ تتجسس على بلاده ليس بقويّ؛ إذْ كيف يليق بنبيٍّ في مقام يوسف أن يرمي إخوته بجرمٍ هو يعلم أنهم برآء منه؟!

قال الرازي: «يبعد من يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع كونه صديقًا أن يقول لهم: أنتم جواسيسُ وعيونٌ مع أنه يعرف براءتهم من هذه التهمة، لأن البهتان لا يليق بحال الصدِّيق»[(٢)].

القول الثاني: أن من عادة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يعطي من جاءه يطلب الميرة حِمل بعيرٍ عن كل رجل، وكان إخوتُه عشرة، فأكرمهم وبالغ في الإحسان إليهم، فطلب إخوتُه منه زيادة حِمل بعيرين آخرين عن أبيهم وأخيهم بنيامين، فسألهم يوسف: لِمَ تَخَلَّفا عنكم؟ قالوا: إن أبانا شيخٌ كبير، وإن أخانا جلس عنده ليقوم بأمره ويقضي حاجته، فسألهم: لِمَ جلس هو دون غيره؟ فذكروا تعلّق والدهم به وحبَّه الشديد له، فقال يوسف: قد فضَّل أبوكم أخاكم عليكم مع كمال عقولكم وجمال خِلقتكم؟! هذا يعني أن أخاكم قد بلغ المنتهى في العقل والفضل، فأتوني به حتى أراه ألا ترون أني أحسنتُ إليكم وأكرمتكم؟

ذكر هذا القول الرازي واستحسنه[(٣)]. وهو أقرب إلى الصواب من القول الأول والله أعلم.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٣٣).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٣٣).

الإشكال الثامن عشر

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يوسف: آية ٦٢].

ذكر عددٌ من المفسرين أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد أن أكرم إخوته بإعطائهم زيادة حِمل بعيرين، وهمَّ إخوتُه بالسفر والرجوع لديارهم، وكان طامِعًا في رجوعهم قال لغلمانه: ﴿ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ أي: ردُّوا أموالهم التي دفعوها مقابل الطعام والميرة في رحالهم وهم لا يدرون أنكم أرجعتموها، رجاء أن يعرفوا إذا رجعوا إلى أهلهم أنها بضاعتُهم التي اشتروا بها الطعام: إمّا بكونها مسكوكةً سكّة بلادهم، وإما بمعرفة الصُّررِ التي كانت مَصرورةً فيها، فيدركوا بذلك أنها وضعت قصداً من يوسف(١).

أمّا لماذا ردَّ يوسفُ بضاعتَهم إليهم فقيل في سبب ذلك أقوال عديدة:

- قيل: خشي أن لا يكون عند أبيه دراهم، وكانت السَّنةُ سنةَ جدبٍ وقحط، فكان ذلك صلةً منه لأبيه وإخوته(٢).
- وقيل: إنما فعل ذلك تذمُّمًا وتحرّجًا أن يأخذ مالاً من أبيه وإخوته، لأن ذلك ينافي كمال المروءة والفضل(٣).
- وقيل: بل فعله لِما رآه من شدة الفاقة التي كانت بهم، فخشيَ أن لا يعودوا مرةً أخرى ليميروا أهلهم، لعدم وجود مالٍ معهم، ففعل ذلك تحفيزاً لهم

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٥٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٨)، التحرير والتنوير (١٣/ ١٤).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٥٦)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٩)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٣٣).
(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٤٥٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٨).

على الرجوع إليه[١].

* وقيل: أمَرَ بوضع بضاعتِهم في رحالهم حتى إذا رجعوا إلى أهليهم فوجدوا أموالهم كما هي تحرّجوا من أخذها وإبقائها عندهم حتى يردُّوها إلى عزيز مصر، لأنها كانت عِوَضاً عن الطعام الذي أخذوه[٢].

* وقيل: فعل ذلك ليريهم فضله وكرمه فيكون ذلك حافزا لهم في العودة مرّة أخرى ليزدادوا من الطعام والميرة، خاصةً وأنهم في شدّة وحاجة، ودافعاً لأبيهم كي يدفع أخاهم إليه لما رأى من إحسان العزيز وفضله[٣].

❊❊❊

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤٥٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٨)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٣٣)،التحرير والتنوير (١٣/ ١٤)

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٥٦)، الكشاف (٢/ ٤٥٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٣٣).

الإشكال التاسع عشر

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣﴾ [يوسف: آية ٦٣].

كيف يقول إخوة يوسف لأبيهم ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ وهم قد اكتالوا ورجعوا بالطعام والميرة حينما قابلوا يوسف؟ ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ٥٩﴾ [يوسف: آية ٥٩].

والجواب: أن يوسف لمّا رغب في لقيا أخيه بنيامين قال لإخوته: ﴿فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠﴾ [يوسف: آية ٦٠]، فهم قالوا لأبيهم ﴿مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ﴾ أي: لو أردنا أن نكتال مرّة أخرى إلا بإرسال أخينا معنا، فالمراد: منعنا الكيل في قابلٍ لا فيما سبق[1].

❋❋❋

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٥٨)، الكشاف (٢/ ٤٥٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٨).

الإشكال العشرون

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾﴾ [يوسف: آية ٦٥].

ما معنى ﴿ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾؟ قيل في معناه عدّةُ أقوال أجودها قولان:

* **القول الأول:** أن إعطاءَ العزيز لنا زيادةَ كيلِ بعيرٍ في مقابل أن نُحضرَ أخانا إليه شيءٌ سهل، ليس فيه علينا مشقة، فهذا الكيل الذي سيُزاد لنا كيلٌ يسير علينا نوالُه.
* **القول الثاني:** أنّ كيلَنا - لو لم نذهب بأخينا - كيلٌ يسير، أي: قليلٌ لايكفينا، فأرسل معنا أخانا لنزداد كيلَ بعير[1].

❋❋❋

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤٥٩)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٣٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٩٩)، التحرير والتنوير (١٣/ ١٨).

الإشكال الحادي والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [يوسف: آية ٦٧].

لماذا أمر يعقوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أبناءَه بالدخول من أبواب متفرقة؟

الذي عليه عامّة أهل التفسير أن ذلك كان خشيةً من يعقوب على أبنائه أن تصيبهم العين، لأنهم كانوا على قدرٍ من الجمال والهيئة الحسنة، فكيف وهم أحد عشر رجلا سيدخلون مجتمعين؟![1].

وذكر ابنُ عاشور سبباً آخرَ، وهو أن يعقوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خشي إنْ دخل جميعُ أبنائه من باب واحد أن يسترعي عددُهم أهلَ المدينة وحرّاسَها فيتوجّسوا منهم؛ خوفاً أن يكونوا لصوصاً أو جاءوا بمكيدة لأهل المدينة[2].

❋❋❋

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٦٥)، الكشاف (٢/ ٤٦٠)، المحرر الوجيز(٣/ ٢٧٠)، تفسير ابن كثير(٤/ ٤٠٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٢٠).

الإشكال الثاني والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يوسف: آية ٦٩].

ما الذي عمله إخوة يوسف وعناه عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله لأخيه: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؟

يجاب عن ذلك بما ذكره ابن كثير حيث قال: «يخبر تعالى عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف، ومعهم أخوه شقيقُه بنيامين، فأدخلهم دارَ كرامته ومنزل ضيافته، وأفاض عليهم الصِّلة والإلطاف والإحسان، واختلى بأخيه فأَطْلَعه على شأنِه، وما جرى له، وعرَّفه أنه أخوه، وقال له: (لا تبتئس) أي: لا تأسف على ما صنعوا بي، وأَمَره بكتمانِ ذلك عنهم، وألا يُطلعهم على ما أَطْلَعه عليه من أنه أخوه، وتَواطَأَ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده، معزَّزاً مكرَّما معظَّمًا»[1].

❋❋❋

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٠).

الإشكال الثالث والعشرون

في قولـه تعالـى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [يوسف: آية ٧٠].

هاهنا إشكالان:

الإشكال الأول: ما الذي جعل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يَضع السقاية ﴿صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ في رحل أخيه ثم يتهم إخوتَه بالسرقة؟ مع أن في ذلك إضراراً بأبيه وإخوته كما هو مذكور في سياق الآيات، وما نتج عن هذا الفعل من أحزانٍ جديدةٍ ليعقوبَ حين فقد ولدَيه بنيامين والكبيرَ من أبنائه، إضافةً لحزنه السابق على يوسف!

وأيضا لماذا لم يخبر يوسفُ إخوتَه من أول اللقاء بهم حين عرفهم بأنه هو يوسف ليخبروا أباهم بذاك فيُسرّ وتنجلي أحزانه؟ وإنما الذي جرى عكسُ ذلك، وفيه ما فيه من إطالة الحزنِ على أبيه، وهذا ينافي البرَّ والإحسان الذي هو من أخلاق الصالحين فضلا عن صفوةِ الخلق أنبياءِ الله عليهم الصلاة والسلام!

والجواب عن ذلك أن يقال: إنما فعل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذلك بوحي من الله لا باختياره، فكان ماكان منه تنفيذاً لأمر الله، وذلك لحكمةٍ أرادها الله جَلَّ وَعَلَا. وقد أشار إلى ذلك جمعٌ من المفسرين كابن عطية[(١)] والرازي[(٢)] وابن كثير[(٣)].

وفي بيان هذه الحكمة من الله تعالى يقول الرازي: «كان هذا أمراً من الله تعالى

(١) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٥٨).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٠).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٨).

نحو يوسف في أن يستر نفسه عن أبيه، وأن لا يخبره بأحوال نفسه، فلهذا السبب كَتَمَ أخبارَ نفسه عن أبيه طول تلك المدة مع علمه بِوَجْدِ أبيه به خوفًا من مخالفة أمر الله تعالى، وصَبَرَ على تجرُّع تلك المرارة، فكان الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد قضى على يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يُوصِلَ إليه تلك الغمومَ الشديدةَ والهمومَ العظيمةَ ليَكْثُرَ رجوعُه إلى الله تعالى، وينقطعَ تعلّقُ فكرِه عن الدنيا، فيصل إلى درجة عالية في العبودية لا يمكن الوصول إليها إلا بتحمل المحن الشديدة»[1].

الإشكال الثاني: في قوله تعالى: ﴿أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف: آية ٧٠] اتهامٌ لإخوة يوسف بأنهم سارقون، فكيف يحلُّ وصفهم بذلك وهم برآء من السرقة؟

يجاب عن ذلك بأحد ثلاثة أوجه:

الأول: أن هذا الوصف لهم صحيحٌ باعتبار ما سبق لا باعتبار ما حدث آخِراً، وذلك أن إخوة يوسف قد سرقوه من أبيه يوم كان صغيراً، لأنهم أزمعوا على أمرِ سوء، وهو إلقاؤه في الجبِّ، فهو وَصَفهم بذلك بناءً على ما فعلوه معه، لكنه استخدم في ذلك أسلوب التورية حتى لا يعرفوا مراده من هذه الحيلة التي احتالها لأخذ أخيه عنده، وهم ظنوا أن وصْفَهم بالسرقة كان لأجل ما حدث مِن فقدِ صواع الملك، فلم يكن ذلك الذي فعله يوسفُ كذبًا، وحاشاه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ذلك.

وكان هذا العمل من يوسف حيلةً محمودة لا يشوبها كذب ولا مخادعة، ولها مصلحة راجحة.

قال الزمخشري: «وحكمُ هذا الكيدِ حُكمُ الحيلِ الشرعية التي يُتوصل بها

(١) مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٠).

إلى مصالح ومنافعَ دينية، كقوله تعالى لأيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [سورة ص: آية ٤٤]، ليتخلص من جَلدها ولا يحنث، وكقول إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: هي أختي، لتسلم من يد الكافر. وما الشرائعُ كلُّها إلا مصالحُ وطرقٌ إلى التخلص من الوقوع في المفاسد، وقد علم الله تعالى في هذه الحيلةِ التي لقَّنها يوسفَ مصالحَ عظيمةً فجعلها سُلَّمًا وذريعة إليها، فكانت حسنة جميلة، وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا»[(١)].

الثاني: أن قائل هذه الكلمة ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ ليس هو يوسف؛ وإنما هو المؤذن الذي صاح بهم، وهذا المؤذن لم يكن يعلم بما أضمره يوسف من جعل صواع الملك في رحل أخيه، وإنما ظنّ أنهم هم من أخذ الصواع، لذلك اتهمهم بالسرقة.

الثالث: أن قول ﴿إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ لما يكن وصفًا لهم؛ وإنما كان نداءً على سبيل الاستفهام لمّا فُقِد صواعُ الملك. والتقدير: يا أصحاب العير هل أنتم سارقون؟[(٢)]

❊❊❊

(١) الكشاف (٢/ ٤٦٣).

(٢) انظر هذه الأوجه في: الكشاف (٢/ ٤٦٣)، مفاتيح الغيب (١٦/ ١٤٣).

الإشكال الرابع والعشرون

في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ ٧٢﴾ [يوسف: آية ٧٢]

الحديث هنا جاء بصيغة الجمع ﴿قَالُواْ﴾، وفي آخر الآية صار بصيغة المفرد ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ فكيف يكون ذلك؟

وجواب ذلك أن يقال: إن الذي قال: ﴿نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ﴾ هم غلمان يوسف، وأما الذي قال: ﴿وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٞ﴾ أي: كفيل وضمين، فهو المؤذن الذي نادى: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ ٧٠﴾[1].

❋❋❋

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٧٨)، الكشف والبيان (٥/ ٢٤٠)، الكشاف (٢/ ٤٦٢).

الإشكال الخامس والعشرون

في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٧٥﴾ [سورة يوسف: آية ٧٥]

.

ما معنى هذه الآية؟

المعنى -كما ذكره عدد من المفسرين -: لمّا أنكر إخوة يوسف أن يكونوا سارقين، قيل لهم: فما جزاء السارق إن كنتم تكذبون؟ قالوا: جزاؤه وعقوبته أنَّ مَن وُجد المسروقُ - وهو الصُّواع - في رحله ﴿فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ﴾ أي: السارق هو نفسُه الجزاء؛ بأن يكون مُسترَقًّا لصاحب المال الذي سُرق منه، فمَن وُجِدَ الصُّواع في رحله فأَخْذُهُ ليكون رقيقًا هو الجزاءُ له على فعله. وقد كان استعبادُ السارق في شريعة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يجري مجرى وجوب القطع في شرعنا(١).

وفي قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ هذا من تمام كلام إخوة يوسف، والمعنى -كما يقول ابن عطيّة -: «هذه سُنَّتنا وديننا في أهل السرقة؛ أن يُتملَّكَ السارقُ كما تَمَلَّكَ هو الشيءَ المسروق»(٢).

❋❋❋

(١) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٤١)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٤٤)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠١)، روح المعاني (١٣/ ٢٧).

(٢) المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٣).

الإشكال السادس والعشرون

في قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: آية ٧٦].

في الآية إشكالان:

الإشكال الأول: ما معنى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾؟

الذي يظهر أن المراد بـ﴿دِينِ الْمَلِكِ﴾ أي: حُكم الملك، وهو مَلك مصر، وكان حُكم ملكِ مصر وشريعتُه في عقاب السارق أن يُضرب ويُغرَّم ضِعفَي ما سَرَق، وأمّا عقابُه في شريعة إخوة يوسف فهو استعبادُ السارق واسترقاقُه، وهذا ما أراده يوسف، ولو رُدَّت الحكومةُ إلى دين الملك لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه ردّ الحكم إليهم، ليتم له ما أراد[(١)].

ومعنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا بمشيئة الله وإرادته[(٢)].

وقال البيضاوي: «يجوز أن يكون الاستثناء منقطعاً، أي: لكنْ أخَذَه بمشيئة الله تعالى»[(٣)].

الإشكال الثاني: في قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ ماعلاقة هذه الجملة بما سبقها؟

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ١٨٩)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٤٥)، فتح القدير (٣/ ٥٢)، تفسير السعدي (ص ٤٠٢).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٤٦٣)، تفسير النسفي (٢/ ١٩٣)، التحرير والتنوير (١٣/ ٣٢).

(٣) تفسير البيضاوي (١/ ٤٩٤).

الذي يظهر أن الله رفَع من شأن يوسف بسبب العلم الذي علّمه إياه، فهداه إلى هذه الفكرة، ودلّه على هذا التدبير ليضمّ أخاه إليه، ولا يصير إلى حكم الملك[1].

وقال الطاهر بن عاشور: «﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ﴾ تذييلٌ لقصةِ أخْذِ يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أخاه؛ لأن فيها رفعَ درجةِ يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في الحال بالتدبير الحكيم من وقت مناجاته أخاه إلى وقت استخراج السقاية من رحله. ورَفْعَ درجةِ أخيه في الحال بإلحاقه ليوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في العيش الرَّفِيه والكمال بتلقِّي الحكمة من فيه. ورفعَ درجاتِ إخوته وأبيه في الاستقبال بسبب رفعِ درجة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وحُنوِّه عليهم»[2].

❋❋❋

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٤٦)، تفسير السعدي (ص ٤٠٢).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/ ٣٢).

الإشكال السابع والعشرون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: آية ٧٧].

ما السرقة التي اتَّهَم بها إخوةُ يوسف أخاهم يوسفَ بها؟

ورد في كتب التفسير عدة روايات إسرائيلية تذكر سبب اتهام يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بالسرقة من قِبَل إخوته، منها:

أن يوسف لما وُلِد حضنته عمَّته الكبرى فعاش في كنفها، وأحبّته وتعلّقت به تعلُّقًا شديدا، فلما كبر يوسف أراد والده يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن يأخذه إليه، فأظهرت له أختُه شديد حبّها له، وأنها لا تقوى على فراقه، فأبى عليها يعقوب، ولم يوافقها إلى ما تريد، فاحتالت عليه بحيلة؛ حيث أخذت حزاما من ذهب كان عندها قد ورثته من أبيها إسحاق، فألبسته يوسف من تحت ثيابه، ثم ادعت أنها فقدته، وأمرَت أهل بيتها أن يبحثوا عنه، فوجدوه تحت ثياب يوسف، فقالت: قد سرَق يوسفُ فلي حقٌّ فيه – أي في يوسف –، وكان من شريعتهم – كما سبق – أن من سرق شيئا فللمسروق منه أن يسترقَّه، وهكذا فعلت عمّتُه به، رغبةً في بقائه عندها! فبقي عندها حتى ماتت، ثم تحوّل إلى أبيه، لأجل ذلك اتَّهمه إخوتُه بالسرقة.

وقيل: إنما كان سببُ ذلك أن يوسفَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أمَرَتْه أمُّه وهو صغير أن يسرق صنمًا كان لأبيها يعبده من دون الله، وأن يكسِّره، ففَعلَ، فاتُّهم بالسرقة حينها.

وقيل: إن فقيراً جاء لبيت يعقوب يسأل الطعام ويشكو فقرَه، فقام يوسف إلى عَنَاقٍ[1] أو دجاجةٍ فأخذها وأعطاها الفقير فاتُّهِم بسرقتها.

وقيل غير ذلك[2].

❊❊❊

(١) العَنَاقُ: «الأُنثى من أَولاد المعيز والغنم، من حين الولادة إلى تمام الحَول» انظر: لسان العرب (٤/ ٣١٣٥)، تاج العروس (٢٦/ ٢١٦).

(٢) انظر هذه الأقوال في: تفسير الطبري (١٦/ ١٩٥)، الكشاف (٢/ ٤٦٤)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٦٧)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٤٦)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٢).

الإشكال الثامن والعشرون

في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف: آية ٧٧].

ما الذي أسرَّه يوسفُ في نفسه؟

الذي عليه أكثر المفسرين: أن الذي أسرّه يوسف هو الجملة التي حكاها الله عنه بقوله لإخوته: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾، يعني أنه قال ذلك في نفسه، ولم يُبدِهِ لهم(١).

وهناك قول آخر: أن المقصود بالذي أسرَّه يوسف هو جوابه لهم حين اتّهموه وأخاه بالسرقة، فلم يبدِ لهم حقيقة الأمر، وأنّ هذا الذي جرى لأخيه إنما هو بتدبير منه(٢).

والمقصود بقوله: ﴿أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗا﴾ أي: شرٌّ منزلةً في السرقة؛ حيث سرقتموني من أبي، وأودعتموني في غيابة الجبّ، وهذا أعظم مما رميتموني به من السرقة.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: هو تعالى أعلم ببطلان ما وصفتموني به وأخي من السرقة(٣).

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٤٦٤)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٦٧)، تفسير القرطبي (٩/ ٢٣٩)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٢).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٤٧)، فتح القدير (٣/ ٥٤).

(٣) انظر: تفسير السمعاني (٣/ ٥٣)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٤٧)، روح المعاني (١٣/ ٣٣).

الإشكال التاسع والعشرون

في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يوسف: آية ٨١].

ما المراد بالغيب في هذه الآية؟

هـذا الجملة هي مـن ضمن ما أعدَّه إخوةُ يوسـف من جوابٍ حين يسـألهم أبوهم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ ليبرّئوا سـاحتهم مما حصل لأخيهم بنيامين حين اسـتُرِقَّ لدى العزيز، فقالوا له: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ أي: ما شهدنا عند يوسف بأن السـارق مصيره أن يُسـتَرقُّ إلا بما علمنا من شرعتنا، أو: ما شهدنا عليه بأنه سرق إلا بما علمنا، لأنَّا رأينا المسروقَ في رحله[(١)].

وأما قولهم ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ فقد اختُلف في تفسيرها على أقوال:

* **الأول:** ما كنّا عالمين بالغيب فنعلم بأن ابنك سيَسـرِق، وهو قول عكرمة وقتادة[(٢)].
* **الثاني:** ما كنّا عالمين بالغيب بأن ابنك سـيكون مُسْـتَرقّـًا، وإلا لما اخترنا عند العزيز أن يكون جزاء السارق هو الاسترقاق، وهو قول مجاهد[(٣)].
* **القول الثالث:** أن الغيب معناه (الليل) على لغة حِمْيَر، فيكون المعنى: ما كنّـا عالمين بما صنع ابنُك في الليل، أو ما كنّا عالمين بالذي دُبِّر بالليل له إن كان ليس هو السارق[(٤)].

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٢٦٧)، تفسير القرطبي (٩/ ٢٤٤).
(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢١٠)، النكت والعيون (٣/ ٦٨)، تفسير السمعاني (٣/ ٥٦).
(٣) انظر: النكت والعيون (٣/ ٦٨)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٥١).
(٤) انظر: الكشـف والبيان (٥/ ٢٤٦)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٥١)،تفسـير البحـر المحيط (٥/ ٣٣٢)، فتح القدير (٣/ ٥٥).

* **الرابع**: أنّ الذي رأيناه هو أن فتيان العزيز أخرجوا صُواع الملك من رحل بنيامين؛ لكنّ حقيقة الحال غير معلومة لنا؛ فإن الغيب لا يعلمه إلا الله[1].

❊❊❊

(١) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٥١)، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل (١١/ ١٨٥).

الإشكال الثلاثون

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف: آية ٨٨].

ما المراد بقول إخوة يوسف ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾؟

قيل في ذلك أقوال متعددة كلُّها توحي بأنهم لم يأتوا بثمنٍ يستحقّون به ما يطلبون من المِيرة، فكانت قيمة الشراء دون قيمة البضاعة المبتاعة.

ومما ذكره المفسرون في تحديد ماهيّة بضاعتهم التي جاؤوا بها ثمنًا للمِيرة أنها كانت بضاعةً رديئة لا يُبتاع بمثلها في العادة، كالحبل والصوف والنِّعال ونحوها.

وقيل: كانت طعاما رديئًا من الصنوبر والأقط والسَّمن، مما كان عند الأعراب.

وقيل: كانت دراهمَ زيوفًا، لا يُقبل مثلُها إلا بتجاوزٍ ومسامحة.

وقيل: كانت دراهمَ ناقصةً، لا تساوي قيمة ما يطلبون.

وقيل غير ذلك[1].

وأما قولهم: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ فالمعنى: أعطِنا ما كنت تعطينا قبلُ بالثمن الجيّد، وأتمَّ لنا ما نريد من الطعام بما لانقص فيه[2].

---

(١) انظر هذه الأقوال وغيرها في: تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٠)، تفسير البغوي (٤/ ٢٧١)،تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٧)، فتح القدير (٣/ ٦٠).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٠)، فتح القدير (٣/ ٦٠).

الإشكال الحادي والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يوسف: آية ٨٩]

هاهنا أمران:

الأول: الذي فعله إخوة يوسف به من الأذى معلوم وظاهرٌ من سياق القصة، فما الذي فعلوه بأخيه بنيامين؟

ذكر غير واحدٍ من المفسرين أن الأذى الذي لحِقَ بنيامين هو الغمُّ الذي أصابه منذ الصغر بسبب تفريقهم بينه وبين شقيقه يوسف(١).

وقيل: إن بنيامين كان يتعرّض للأذى من إخوته؛ حيث كانوا قساةً عليه، فلا يستطيع أن يكلِّم أحداً منهم إلا وهو ذليلٌ مستكين(٢).

الثاني: في قول يوسف: ﴿إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ﴾ كيف يصفهم بالجهل وهم كانوا على علمٍ بما فعلوه معه؟

أجاب الزمخشري إجابة وافية فقال: «أتاهم من جهة الدين، وكان حليماً موفَّقاً، فكلَّمهم مستفهماً عن معرفة وجه القبح الذي يجب أن يراعيه التائب، فقال: هل علمتم قبحَ (ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه، فلذلك أقدمتُم عليه؟ يعني: هل علمتم قبحَه فتُبتم إلى الله منه؟ لأنّ عِلْمَ القُبح يدعو إلى الاستقباح، والاستقباح يجرّ إلى التوبة، فكان كلامُه شفقةً عليهم

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٤)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٧٦)، الكشاف (٢/ ٤٧٣).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٤٧٣)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٢).

وتنصُّحاً لهم في الدين، لا معاتبةً وتثريباً؛ إيثاراً لحقِّ الله على حق نفسه، في ذلك المقام الذي يتنفَّس فيه المكروب، وينفُث المصدور، ويتشفَّى المَغيظ المُحنِق، ويدرك ثأرَه الموتورُ، فلله أخلاقُ الأنبياء ما أوطأَها وأسجَحَها![1]، ولله حصا عقولِهم[2] ما أرزنَها وأرجَحها! وقيل: لم يُرِد نفيَ العلم عنهم، لأنهم كانوا علماء، ولكنهم لما لم يفعلوا ما يقتضيه العلم، ولا يَقدُم عليه إلا جاهل، سمَّاهم جاهلين. وقيل: معناه إذْ أنتم صبيانٌ في حدِّ السَّفَه والطيش قبل أن تبلغوا أوان الحلم والرزانة»[3].

❊❊❊

(١) ما أسجَحها: أي ما أسهلَها وألينَها، ويقال: خُلُقٌ سَجِيحٌ، أي: ليِّن سهل. انظر: المحكم والمحيط الأعظم (٣/ ٥٩)، تاج العروس (٦/ ٤٥٤).

(٢) قال الزبيدي في تاج العروس (٣٧/ ٤٤٢): «الحصاةُ: العقلُ والرأي. يقال: فلانٌ ذو حصاةٍ وأصاةٍ، أي: عقلٍ ورأي. وهو ثابت الحصاة: إذا كان عاقلا». وانظر أيضاً: الصحاح في اللغة،الجوهري (٦/ ٢٣١٥) ، لسان العرب (١٤/ ٣٧)،

(٣) الكشاف (٢/ ٤٧٢).

الإشكال الثاني والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥﴾ [يوسف: الآيات ٩٤-٩٥].

هنا إشكالان:

الأول: حين قال يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ أجابه مَن عنده بقولهم: ﴿تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ﴾، وظاهر سياق الآيات أن الذين قالوا ذلك هم أبناؤه مستبعِدين صحةَ ما قال، فكيف يقولون ذلك، وهم قد علموا بحال يوسف حين كشف لهم أمرَه؟!

الصواب أن الذين قالوا ذلك ليسوا أبناءه؛ وإنما هم من كان معه من أحفاده وأهل بيته ممن بقي معه، أمّا أبناؤه فإنهم كانوا عند يوسف في مصر[1].

الثاني: كيف يسوغ لمن كان عند يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أن يصفوه بأنه في ضلال مبين، وهو والدُهم ونبيٌّ كريمٌ من أنبياء الله؟!

أجاب عن هذا الإشكال الرازي بقوله: «في الضلال هاهنا وجوه، الأول: قال مقاتل: يعني بالضلال ههنا الشقاء، يعني شقاء الدنيا، والمعنى: إنك لفي شقائك القديم بما تُكابِد من الأحزان على يوسف، واحتَج مقاتل بقوله: ﴿إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ٢٤﴾ [القمر: آية ٢٤]، يعنون: لفي شقاءِ دنيانا، وقال قتادة: لفي ضلالك القديم، أي: لفي حُبِّك القديم لا تنساه، ولا تَذهل عنه، وهو كقولهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٥٢)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٥)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤٠٩).

ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ [يوسف: آية ٨]، ثم قال قتادة: قد قالوا كلمة غليظة، ولم يكن يجوز أن يقولوها لنبي الله. وقال الحسن: إنما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوسف قد مات، وقد كان يعقوب في وُلُوعِه بذكره ذاهبًا عن الرشد والصواب»[(١)].

❊❊❊

(١) مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٦).

الإشكال الثالث والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يوسف: آية ٩٩].

كيف يقول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لأبيه وإخوته: ﴿ٱدْخُلُوا مِصْرَ﴾ بعدما دخلوها، ومعلومٌ أن مكان إقامة يوسفَ في مصر، وقد بَيَّن اللهُ في أوّل الآيةِ أنهم دخلوا عليه، فكيف يأمرهم بدخول مصر وهم فيها؟

أجيب عن هذا الإشكال بأحد الإجابات التالية:

١ - أن يوسف لمّا علم بمقدم أبويه خرج لاستقبالهما ومن معهما قبل أن يدخلوا مصر، ثم لمّا التقى بهما آواهما إليه، ثم قال لأهله: ﴿ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[(١)].

قال الآلوسي: «هناك دخولان: أحدهما دخول عليه خارج البلدة، والثاني دخول في البلدة»[(٢)].

والمراد بقوله تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ﴾ قيل: ضمَّهما إليه واعتنقهما[(٣)]. وقيل: إن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ اتخذ بيتاً أو خيمة فآواهما فيه[(٤)].

٢ - أن معنى ﴿ٱدْخُلُوا مِصْرَ﴾ أي: اسكنوها وأقيموا بها آمنين[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٤)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٨١)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤١١).

(٢) روح المعاني (١٣/ ٥٧).

(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٤٧٦)، روح المعاني (١٣/ ٥٧).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٨)، روح المعاني (١٣/ ٥٧).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٣/ ٢٨١)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤١١).

أن في الآية تقديماً وتأخيراً، فيكون نظم الكلام: وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، وآوى إليه أبويه، ورفعهما على العرش[1].

❊❊❊

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٧٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤١١).

الإشكال الرابع والثلاثون

في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ [يوسف: آية ١٠٠].

كيف يصحُّ أن يسجدَ يعقوبُ وأبناؤه ليوسف، والسجود عبادة لا تُصْرَف إلا لله؟!

يمكن أن يجاب عن ذلك بما يلي:

١ - السجود المذكور هو سجود تحيّة لا سجود عبادة وخضوع، وقد كان هذا سائغا في شريعتهم لاجناح عليهم فيه. وهو الذي عليه أكثر المفسرين(١).

قال ابن كثير: «وقد كان هذا سائغا في شرائعهم إذا سلموا على الكبير يسجدون له، ولم يزل هذا جائزاً من لدن آدمَ إلى شريعة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فحُرِّم هذا في هذه الملة، وجُعِل السجودُ مختصاً بجناب الربِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ»(٢).

ويبقى هاهنا إشكال فيقال: حتى لو كان ذلك كذلك، لكن كيف يليق بيوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يرضى بسجود أبويه له؟ أليس في ذلك غضٌّ من قدرهما ونقصٌ في برِّهما وإجلالهما؟

والجواب عن ذلك من وجوه:

الأول: كان رضا يوسف بهذا السجود لأنه مما أَمَرَ اللهُ به يعقوبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لحكمةٍ خفيّة لا يعلمها إلا هو تعالى، كما أُمِرت الملائكة بالسجود لآدم. فكان

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٩)، الكشاف (٢/ ٤٧٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٢)، التحرير والتنوير (١٣/ ٥٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤١٢).

لابدّ من التسليم لأمر الله[1].

الثاني: أن يوسف لما قصَّ على أبيه في صغره الرؤيا التي رآها بأن أحدَ عشر كوكبًا والشمسَ والقمرَ تسجد له، كان لابدّ من تحقّق ذلك، لأن رؤيا الأنبياء حقٌّ، ولذا رضي يوسفُ بهذا السجود وإن كان قد استعظمَه في نفسه.

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنه لما رأى سجود أبويه وإخوتِه هالَه ذلك، واقشعرَّ جلدُه منه، وقال ليعقوب: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ﴾»[2].

قال الرازي: «كأنه يقول: يا أبتِ لا يليق بمثلك على جلالتك في العلم والدين والنبوة أن تسجد لولدك، إلا أن هذا أمرٌ أُمِرتُ به وتكليفٌ كُلِّفتُ به، فإن رؤيا الأنبياء حقٌّ، كما أن رؤيا إبراهيمَ ذَبْحَ ولدِه صار سببًا لوجوب ذلك الذبح عليه في اليقظة، فكذلك صارت هذه الرؤيا التي رآها يوسف وحكاها ليعقوب سببًا لوجوب ذلك السجود»[3].

الثالث: السجود إنما حصل من إخوة يوسف ومن معهم من أهلهم، ولم يكن لأبوي يوسف بدليل قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، وهذا يُشعِر بأن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ رفع أبويه معه العرش - وهو سرير الملك - ثم سجد البقيّةُ بعد ذلك ليوسف، ولو أنهم سجدوا جميعا ليوسف لسجدوا له قبل الصعود على العرش، لأن هذا هو الأليق بهم حال الدخول عليه، فإن التحيّة تلقى أول ما يكون اللقاء.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٦/ ٢٦٩)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٨).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٥٩)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٧٠)، تفسير القرطبي (٩/ ٢٦٤)، تفسير البحر المحيط (٥/ ٣٤٢).

(٣) مفاتيح الغيب (١٨/ ١٧٠).

فإن قيل: لكنّ هذا لا يتوافق مع ما قصّه يوسف لأبيه في خبر الرؤيا بأن الكواكب الأحد عشر ومعها الشمس والقمر سجدوا له، والكواكب هم إخوتُه، والشمسُ والقمرُ أبواه. فالجواب ما قاله الرازي: «إن تعبير الرؤيا لا يجب أن يكون مطابقاً للرؤيا بحسب الصورة والصفة من كل الوجوه، فسجود الكواكب والشمس والقمر تعبيرٌ عن تعظيم الأكابر من الناس له، ولا شك أن ذهاب يعقوب مع أولاده من كنعان إلى مصر لأجله في نهاية التعظيم له، فكفى هذا القدر في صحة الرؤيا، فأما أن يكون التعبير مساوياً لأصل الرؤيا في الصفة والصورة فلم يوجبه أحدٌ من العقلاء»[(١)].

الرابع: مادام أن السجود كان هو التحيّةَ المتعارفَ عليها في زمانهم فلا يكون في ذلك السجود من يعقوب ليوسف غضاضةٌ عليهما؛ إذْ هو من عاداتهم[(٢)].

٢ - السجود الذي حصل من يعقوب ومَن معه لم يكن ليوسف، وإنما كان لله شكراً له على إتمام نعمته بالتقائهم بيوسف ووصولهم إلى هذه المنزلة العَلِيّة.

وأما الضميرُ الهاءُ في قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ فإنه يرجع لأحد أمرين:

إما: لأجل عودة يوسف لأبيه وإخوته، فاللام تكون للتعليل، ويكون المعنى: وخرّوا لأجل عودة يوسف واجتماعهم به سجّداً لله شاكرين له[(٣)].

أو لجهةِ يوسف، فيكون المعنى: خرّوا لجهة يوسف سجّداً لله، فكأنهم جعلوه كالقِبلة لهم، كما يقال: صلّيتُ للكعبة، أي: إلى جهتِها[(٤)].

---

(١) مفاتيح الغيب (١٨/ ١٧٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير (١٣/ ٥٦).

(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٤٧٧)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٩).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٩)، تفسير القرطبي (٩/ ٢٦٤).

السجود في الآية المراد به التواضع والانكسار، فيكون المعنى: دخلوا عليه متواضعين ذليلين[(١)].

وإطلاق لفظ السجود على معنى التواضع والتذلل سائغٌ في كلام العرب، ومنه قول الشاعر:

بجمْعٍ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراتِهِ ترى الأُكْمَ منها سُجَّداً للحوافِرِ[(٢)]

أراد بقوله ﴿سُجَّدًا﴾ أي: خاشعةً ذليلةً.

وفي قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾ لا يلزم من الخرورِ السجودُ على الأرض، وإنما قد يُعنى به المرور، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: آية ٧٣] أي: لم يمرّوا[(٣)].

---

(١) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٥٩)، تفسير الماوردي (٣/ ٧)،مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٩).

(٢) البيت من بحر الطويل، وهو لعروة بن زيد الخيل الطائي. انظره في: الكامل في اللغة والأدب، المبرد (٢/ ١٤٩)، الزاهر في معاني كلمات الناس،ابن الأنباري (١/ ٤٦)، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (٧/ ٢٥٦).

والباء في قوله «بجَمعٍ» متعلقة ببيت سالف وهو:

بَنِي عَامِرٍ هَلْ تَعْرِفُونَ إِذَا غَدَا أَبُو مِكْنَفٍ قَدْ شَدَّ عَقْدَ الدَّوَابِرِ

ويعني بالجمع: الجيش الكثير. والبُلق: جمع أبلق وبلقاء، وهي: الفرس التي يرتفع تحجيلها إلى الفخذين. والحَجَرات: جمع حَجْرة، وهي الجهة والناحية. والأُكْم (بضمٍ فسكون، وأصلها بضمتين): جمع أَكَمَة، وهي: التلال المرتفعة والجبال الصغيرة.

ومعنى البيت: أتينا بجيش كثيف ضَلَّت الأفراسُ البلقُ في نواحيه، ثم يصف كثرة الأفراس وشدة بأسها بأنها تطأ الأُكُم بحوافرها فتخشع لها تلك الأكم، فكأنها ساجدةٌ لها. وهذا تعبير مجازي. انظر: الكامل في اللغة والأدب (٢/ ١٥٠)، تفسير البحر المحيط (١/ ٣٠٠).

(٣) انظر: الكشف والبيان (٥/ ٢٥٩)، مفاتيح الغيب (١٨/ ١٦٩).

الإشكال الخامس والثلاثون

في قولـه تعالـى: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف: آية ١٠١].

ظاهـر الآية أن يوسـف مَلِكٌ، بينما إخوتـه كانوا ينادونـه بـ«العزيز» كقولهم: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ﴾ [يوسـف: آيـة ٧٨]، وقولهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف: آية ٨٨].

فهل العزيز هو الملك أم بينهما فرق؟ قولان لأهل العلم:

القـول الأول: أن العزيز هو لقبٌ للمَلِك، وعليه فيكون يوسـف عَلَيْهِ السَّلَامُ قد نال المـُلك، وبعضهم استدلّ بهذه الآية ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ...﴾[(١)].

ولكنّ هذا القول يشـكل عليه سياق القصة من أولها، فإن يوسف لمّا كان في السـجن وطلَبه الملك أبى الخروج حتى يسأل الملكُ النسوةَ عن أمره، فجمعهنّ الملـك وسـألهنّ: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف: آية ٥١].

فقولـه تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ...﴾ يدلّ علـى أن العزيز غيرُ الملك، ولو كان هو الملك لمـّا احتاج لجمع النسـوة وسؤالهنّ، لأن العزيز كان شاهدا لقصة مراودة زوجتِه ليوسف؛ بينما ظاهر السياق أن الملك لم يكن له علم بالأمر.

---

(١) انظر هذا القول في: تفسير الطبري (١٦/ ٦٢)، النكت والعيون (٣/ ٣٠)، تفسير القرطبي (٩/ ١٥٨)، فتح القدير (٣/ ٦٨).

القول الثاني: أن العزيز يختلف عن الملك، والمقصود به: الوزير، و كان يلي خزائن مصر[(١)]. وهذا هو القول الأقرب للصواب.

وأما معنى الآية: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ ...﴾[يوسف: آية ١٠١] فالمقصود أن المكانة التي نالها يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ منزلةٌ عظيمة، أوتي فيها من تدبير شؤون الدولة وتصريف أمورها ما جعله كالملك في صلاحياته ومكانته.

وقال ابن عاشور: «وفي الإصحاح (٤٥) من سفر التكوين أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لإخوته حينئذٍ -وهو أي الله - قد جعلني أباً لفرعون، وسيداً لكل بيته، ومتسلطاً على كل أرض مصر. فالظاهر أن المَلك الذي أطلقَ يوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من السجن وجعله عزيزَ مصر قد توفّي، وخلَفه ابنٌ له فحجبه يوسفُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وصار للمَلِك الشابِّ بمنزلة الأب، وصار متصرّفاً بما يريد»[(٢)].

هذه أبرز الإشكالات التي يمكن أن تَرِد في ذهن القارئ لسورة يوسف حول بعض أحداث القصة، تم بحمد الله تجليتها والإجابة عنها بما يسّر الله من خلال الرجوع لأقوال المفسرين، والإفادة من الأخبار الإسرائيلية التي تُبين بعض مالم يُذكر في القصة، وهذا يؤكّد أهمية الإفادة من الأخبار الإسرائيلية بالضوابط التي سبق الحديث عنها في المقدمة.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،،

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٥/ ١٧)، النكت والعيون (٣/ ١٩)، مفاتيح الغيب (١٨/ ٨٧)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٨٤).

(٢) التحرير والتنوير (١٣/ ٤٨).

ثبت المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ ١٩٩٨م .

٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د . ط) (د . ت).

٣. إعراب القرآن، إبراهيم بن السري الزجاج، تحقيق:إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة (د . ط) (د . ت).

٤. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، تحقيق: علي محمد البجادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م (د . ط) .

٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل =تفسير البيضاوي، عبدالله بن عمر البيضاوي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

٦. بيان مشكلات في حق الأنبياء، صالح الفايز، مركز البصائر، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٣٧هـ ٢٠١٦م .

٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: عبدالستار فراج وآخرين، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

٨. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط) (د.ت).

٩. التبيان في إعراب القرآن، عبدالله بن الحسين العكبري، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م (د . ط).

١٠. تفسير القرآن = تفسير السمعاني، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١١. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

١٢. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (د.ط)١٩٩٠م.

١٣. التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة (د . ط) (د . ت).

١٤. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٨٩م.

١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م.

١٦. جامع المسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

١٧. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٣ م .

١٨. الجواهر الحسان في تفسير القرآن = تفسير الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، تحقيق: عادل عبد الموجود و علي معوض، دار إحياء التراث، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

١٩. الحاوي للفتاوي في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول والنحو والإعراب وسائر الفنون، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

٢٠. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالله التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ٢٠٠٣م.

٢١. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٢٢. الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢م .

٢٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط الأولى ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .

٢٤. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة (د . ط) (د . ت).

٢٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م .

٢٦. سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .

٢٧. شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ ١٩٧١م .

٢٨. شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٤م.

٢٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي، دار الكتب العلمية (د . ط) (د . ت).

٣٠. الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .

٣١. صحيح ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٣م .

٣٢. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ١٩٩٣م .

٣٣. الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الرابعة ١٤٠٨هـ ١٩٨٧م.

٣٤. الضعفاء والمتروكون، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: موفق بن عبدالله بن عبدالقادر، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

٣٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، ضبطه وصححه: عبدالله محمود عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م .

٣٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ ١٩٥٩م (د . ط) .

٣٧. الفردوس بمأثور الخطاب، إلكيا شيرويه الديلمي، تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦م .

٣٨. الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، ، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م .

٣٩. الكشف والبيان، أحمد بن محمد الثعلبي، تحقيق: علي بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ٢٠٠٢ م .

٤٠. لباب التأويل في معاني التنزيل = تفسير الخازن، علاء الدين علي بن محمد الخازن، دار الفكر، بيروت ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م (د . ط) .

٤١. لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ٢٠٠٢م .

٤٢. اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي ابن عادل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى١٤١٩ هـ١٩٩٨م.

٤٣. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار المعارف، القاهرة، (د . ط) (د . ت).

٤٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن محمد القاسم، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤١٢هـ١٩٩١م (د . ط) .

٤٥. المحكم والمحيط الأعظم، علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ٢٠٠٠م .

٤٦. مدارك التنزيل وحقائق التأويل = تفسير النسفي، عبد الله بن أحمد النسفي، دار النفائس، بيروت، تحقيق: مروان الشعار، ١٤٢٥هـ ٢٠٠٥م (د . ط) .

٤٧. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، إشراف: يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت (د . ط) (د . ت).

٤٨. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ١٩٩٩م .

٤٩. مسند الشاميين، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م .

٥٠. معاني القرآن الكريم، أحمد بن محمد النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

٥١. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ ١٩٧٧م (د . ط).

٥٢. مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م .

٥٣. النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت (د . ط) (د . ت).

❊❊❊

الفهرس

- بين يدي السورة ٨
- التعريف بسورة يوسف، وبيان فضلها، وسبب نزولها ٨
- أولاً: التعريف بسورة يوسف ٨
- ثانياً: فضل سورة يوسف وما ورد فيها ٩
- ثالثاً: سبب نزولِ سورة يوسف ١٠
- الإشكالات في سورة يوسف ١٢
  - الإشكال الأول: هل كان إخوة يوسف أنبياء؟ ١٢
  - الإشكال الثاني: لماذا لم تُذكَر أمُّ يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في القصة؟ ١٦
  - الإشكال الثالث ١٨
  - الإشكال الرابع ١٩
  - الإشكال الخامس ٢١
  - الإشكال السادس ٢٤
  - الإشكال السابع ٢٥
  - الإشكال الثامن ٢٨
  - الإشكال التاسع ٣٤
  - الإشكال العاشر ٣٦
  - الإشكال الحادي عشر ٣٧
  - الإشكال الثاني عشر ٣٨
  - الإشكال الثالث عشر ٤٠
  - الإشكال الرابع عشر ٤٦
  - الإشكال الخامس عشر ٤٧

- الإشكال السادس عشر ٤٩
- الإشكال السابع عشر ٥٢
- الإشكال الثامن عشر ٥٤
- الإشكال التاسع عشر ٥٦
- الإشكال العشرون ٥٧
- الإشكال الحادي والعشرون ٥٨
- الإشكال الثاني والعشرون ٥٩
- الإشكال الثالث والعشرون ٦٠
- الإشكال الرابع والعشرون ٦٣
- الإشكال الخامس والعشرون ٦٤
- الإشكال السادس والعشرون ٦٥
- الإشكال السابع والعشرون ٦٧
- الإشكال الثامن والعشرون ٦٩
- الإشكال التاسع والعشرون ٧٠
- الإشكال الثلاثون ٧٢
- الإشكال الحادي والثلاثون ٧٣
- الإشكال الثاني والثلاثون ٧٥
- الإشكال الثالث والثلاثون ٧٧
- الإشكال الرابع والثلاثون ٧٩
- الإشكال الخامس والثلاثون ٨٣

ثبت المصادر والمراجع ٨٥

الفهرس ٩٢

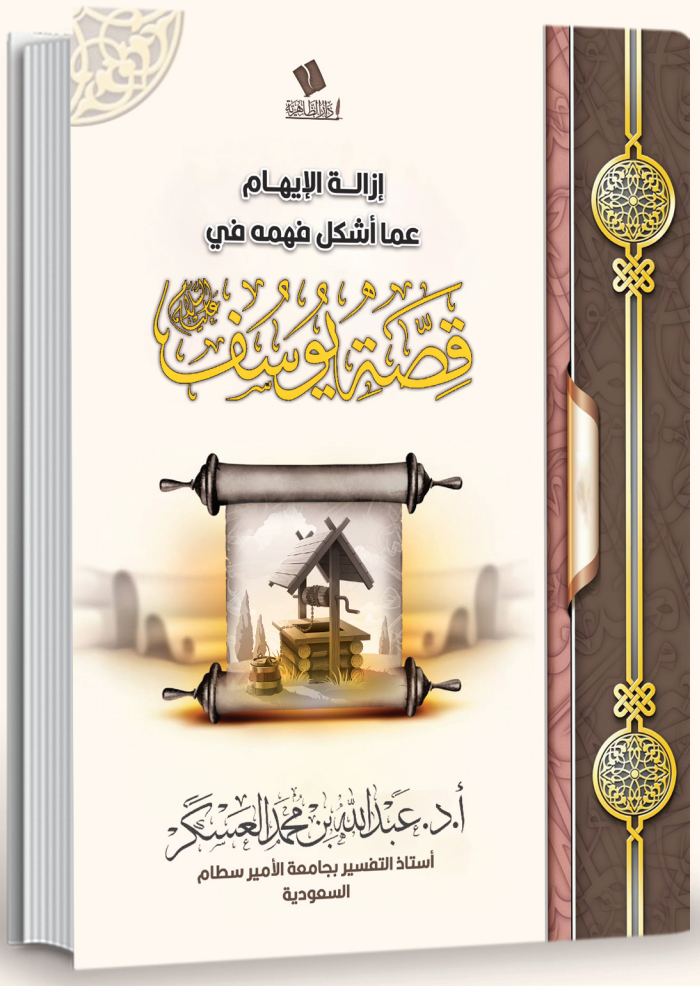

9 789996 688119

نضيء الفكرة

daradahriah daradahriah.com daradahriah@gmail.com